

الكتاب العربي السعودي ٢٤

الدكتور محمود محمد سفر

الحضارة تحدٍّ..!

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤

إهداء

إلى فتية أمتي ورجال غدها .

إلى براعمها المتفتحة وزهورها اليانعة .

إلى حكمة الشيوخ فيها وطاقة الشباب بها .

إلى الذين يرنون ـ بآمال عريضة ـ إلى غد باسم .

إلى الذين يتطلعون ـ بطموح شامخ ـ إلى مستقبل مشرق .

إلى هؤلاء جميعا . . .   أهدى هذا التحدى !

المؤلف

مُقَدّمَة

إن أمانة الباحث فى مايواجه أمته من تحديات ومايتعرض له مجتمعه من تحولات ـ تصاحب عادة مسيرة التقدم والتطور والنماء ـ تفرض عليه ضرورة التعمق فى فهم هذه التحديات وتلك التحولات ليصل إلى جوهرها حتى يتسنى له وصف العلاج الناجع لمواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاتها . وقد يستهوى البعض من الباحثين تكديس البيانات وزخرفة المنحنيات وتنميق العبارات وربما تتجمع مئات الأبحاث والدراسات دون أن يخرج القارىء منها بنتيجة محددة قابلة للتطبيق لأنها لم تمس جوهر المشكلة ذاتها .

وبين دفتى هذا الكتاب سوف يلمس القارىء أننا نقوم بمحاولة للوقوف وقفة موضوعية مع أنفسنا كمسلمين لنحدد سوياً أين نكون وما هو موقعنا من العصر والحضارة المعاصرة وماهى العقبات والقيود التى تمنع حركتنا وانطلاقنا مع تقييم صريح لواقعنا ومواجهة واضحة لأنفسنا . وإذا ما وجد القارىء أن فقرات هذا الكتاب ـ التى سنطرح من خلال ثناياها بعض الأفكار والمرئيات ـ تحمل عناوين منفصلة فإننا نود أن نوضح له أنها تنطلق من أطار فكرى مشترك وتحمل معانى ومفاهيم تربطها وحدة الهدف وتصورات وتطلعات متناسقة ومتضافرة .

ولاننكر أن بعضا من هذه الأفكار والآراء قد يحتاج إلى دراسة متخصصة وأكثر تعمقا لم يتح المجال بعد للخوض فيها بشىء من الأسهاب لكننا نود بطرحها أن تكون قاعدة للبحث قد نتفرغ لها أو يتفرغ غيرنا فى وقت لاحق لدراستها والخروج منها بنتائج أكثر تحديدا وأعمق مردودا .

وتبقى حقيقة أننا بهذه المحاولة نريد أن نعترف بأهمية وضرورة اجتياز أمتنا مرحلة الانبهار بحضارة الغرب والشرق إلى مرحلة الاعتراف بوجود فجوة ملحوظة ـ يخشى اتساعها مع الزمن ـ بين تراث الأمة الاسلامية وتاريخها المجيد ، يوم قادت العالم إلى النور ، وبين ماتعيشه من واقع متخلف وأمية حضارية امتداداً لأميتها الأبجدية فى الوقت الذى تتفجر فيه المعرفة والعلم ويحلق فيه انسان العصر عاليا فى آفاق رحبه من الابداع .

إننا باعترافنا هذا ننتصر لآنفسنا على آنفسنا ونؤكد به آننا ونحن نعمل بكل جهد ومعاناة على تنمية وطننا لابد أن نقر بأن البناء الحضارى ومظاهر التقدم ماهى إلا آثار تفاعل الأمة والمجتمع مع البيئة بما فيها من قوى خلقية وسنن كونية وموارد مادية استجابة من الأمة لدوافع البناء وحاجاته كما هو تعبير عن ماتمثله الأمة من قيم ومعان وغايات نابعة من أعماق أبناء تلك الأمة وكيانها العقائدى والنفسى والفكرى ، لأن صروح الحضارات لاتبنى دوما ولاترتفع أبدا إلاحين تتبلور رؤى الأمم وتتضح غاياتها فتدب الحركة والحياة فى حوافزها وتنطلق طاقاتها وتقوم مؤسساتها لتعبر ماديا عن تلك القيم والمعانى والغايات فتعمر الأرض وتقوم الحضارة وتبقى العمارة مابقى ذلك التفاعل وتظل الحضارة ماظلت تلك القيم والمبادىء .

إن مايجب أن نبذله من جهود ومانقدمه من تضحيات من أجل تقدم وطننا ورقيه ومايجب أن يصاحب هذه الجهود من مساهمات فكرية لايمثل مجرد استجابة غريزية لدافع البقاء فحسب كما أنه لايعكس أمانى أوأحلام فقط بقدر ماهو امتثال لأمر الله سبحانه وتحقيق لارادته فى خلقه باستخلافه لهم فى الأرض لعمارتها وهذا يمثل القاعدة الأساسية وشرط التفاعل الإنسانى اللازمين للمسيرة الحضارية للأمة .

إن هذا الكتاب ومايحويه من أفكار ومرئيات وتطلعات لايمثل ترفا فكريا أو رفاهية ثقافية بل هو ـ فى اعتقادنا ـ تعبير عن تحديات حضارية ملحة تتطلب مرحلة الإعداد الحضارى لأمتنا مواجهتها كى تراجع الأمة ما أنجزت فى ميادين العلم والصناعة والتقدم التكنولوجى وتستخلص منه العبرة وتستقى منه العظة حتى نبدأ مسيرة جادة للإبداع الحضارى المعاصر تعبيرا عن القيم والحوافز فى النفس المسلمة إذ أن ارتكاز الشق العلمى والمادى والحضارى لأمتنا على القاعدة العريضة للعقيدة والإيمان فى مسيرة الأمة هو البداية الوحيدة والصحيحة لنهضتها وأدائها لرسالتها . . رسالة الحق والهدى كما أرادها الله نورا وخيرا للبشرية كافة .

إننا نرجو بهذه المحاولة التى تضمنها هذا الكتاب أن نكون قد أنجزنا وعدا كنا قد قطعناه للقارىء الكريم فى خاتمة كتاب « التنمية . . قضية » عندما تعرضنا بايجاز شديد لمفهوم وعناصر التحدى الحضارى الذى يواجه امتنا فى مرحلة انطلاقها لتعيش عصرها وتتعايش مع منجزاته وتسهم فى حضارته بعطاء ناضج وابداع خلاق .

ونود أن نشير بتقدير إلى أن جريدة « الرياض » سبق أن نشرت فى حلقات جزءاً كبيراً من المادة الأساسية التى بنى عليها هذا الكتاب مما أثار ردود فعل ايجابية عند مجموعة من الأخوة والزملاء المفكرين المهتمين بالمعطيات الجديدة والابداعات الحضارية التى تواجه أمتنا وقد تبلور عن ردود الفعل تلك اثراء وتطوير ونضوج الكثير من الأفكار المطروحة بين جنبات هذا الكتاب لتظهر للقارىء بهذه الصورة .

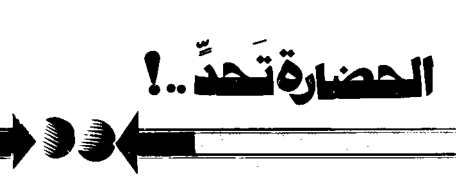
ولانملك من بعد إلا أن نؤكد أن ماسيجده القارىء فى الصفحات التالية

هو همسات نابضة بالولاء للدين ومفعمة بالوفاء للوطن والله من وراء القصد وهو الهادى إلى الطيب من القول وإلى صراط حميد . .

محمود محمد سفر

الرياض - جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ ابريل سنة ١٩٨٠م

الحضارة تَحدٍّ..!



التحـدّي الحضاري .. جوهره وديناميكيته

لانظن أن أحدا منا ينكر أننا كمسلمين لانملك اليوم حضارة تحمل سماتنا وتعبر عن ذاتنا ولكننا نعيش فى ظلال حضارة أقامها الأجداد تمثلت فى التراث الحضارى العريض والعريق الذى ورثناه والذى لم نبذل الجهد الكافى ولم نبد الجدية المطلوبة حتى الآن لإحيائه وتقديمه للشباب بأسلوب يتمشى مع العصر الذى نعيشه .

وعندما توقفت مسيرة تراثنا الحضارى حقبة من الزمن وصاحب ذلك التوقف ولازمه وارتبط به ظهور عصور الإنحطاط ضاعت منا معالم الطريق فلم نعد ندرى ماذا نفعل ومن أين نبدأ واكتفينا بأن ركن البعض منا إلى التفاخر بهذا التراث وكأنه حقنة مخدرة جذبتنا إلى نوم عميق .

وبقدر اعتزازنا وفخرنا بهذا التراث العريق والذى اعترف به العالم أجمع وقالت فيه عالمة ألمانية مستشرقة هى زيجريد هونكة :

[ان الدَّين الذى فى عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للمسلمين كبير جدا]

وقال فيه مستشرق آخر :

[ان العلم هبة خطيرة وهبتها الحضارة الاسلامية الى العالم الحاضر]

. . . نقول بقدر تقديرنا واعتزازنا بذلك إلا أننا يجب ألانعيش على اطلال تلك الحضارة ولا أن تكون هذه الاطلال متكأً لنا نجلس عليه فى مواقع المتفرجين مستسلمين لأحلام الماضى واليأس المريح .

لقد وجد الغرب فى هذه الفترة التى توقفت خلالها مسيرتنا الحضارية فرصة ملائمة فأخذ من العلوم والفنون الإسلامية ما أراد ونهل من المعرفة والثقافة العربية ماشاء وأقام عليها بنيانه الحضارى الضخم الذى نقف اليوم مشدوهين أمام عظمته منبهرين بمنجزاته .

أمام ارتفاع هذا البنيان الضخم واتساع الفجوة الحضارية التى تفصلنا عن العالم المتقدم نجد أنفسنا وقد فرض علينا تحد يجب أن تكون لدينا الشجاعة على مواجهته .

علينا أن لانركن كأمة إلى الترف والدعة فى وقت وصل العالم المتقدم فيه إلى شموخ الحضارة والرقى وعلينا أن نتصدى كأفراد وكمجتمع للعمل الجاد البناء والتضحية الفعلية المستمرة فى اللحظة التى يعج فيها وطننا بأصناف شتى من البشر بجنسياتهم المختلفة وثقافاتهم العديدة ومعدّاتهم الثقيلة أتوا ليعينونا على تنفيذ خطط التنمية التى من المؤمل أن تأخذ بنا إلى مدارج الرقى وقمم الحضارة .

إننا لانستطيع أن نعيش فى عزلة عن عالم اليوم بما فيه من دوامات فكرية وبريق حضارى زائف يفرضان علينا أن نتمسك ايمانيا وفكريا وأخلاقيا بما نملك من عقيدة وقيم ومبادىء بقدر تمسكنا بحقول النفط فى بلادنا بل أكثر . نقول ذلك وندعو اليه ونحن نفتح عقولنا لكسب ما لدى العالم المتحضر من علم متقدم وتكنولوجيا متطورة . ذلك هو جوهر التحدى الحضارى .

ولنا أن نتساءل هل يستطيع مسلم اليوم بما يملك من عقيدة وإيمان وامكانات مادية أن يَعْبُرَ تلك الفجوة وأن يأخذ من أساليب العصر وأن يستوعبها ليكون



قادرا من خلال تطويرها وتطويعها على وضع حضارة تحمل هويته وتعبر عن شخصيته وتفرض نفسها على الحضارات الأخرى .

فى اعتقادى أننا لانستطيع مواجهة هذا التحدى إلا إذا ملكنا روح المسلم الأول الذى كان يتمتع بقوة العقيدة وعمق الإيمان وصدق العطاء التى مكنته من أن يغرس قيمه فى كل حضارات عصره لتتوحد عقيدتها ومن ثم تتوحد وجهتها وتنصهر فى بوتقة واحدة لتعطى حضارة اسلامية ازدهرت على مدى عدة قرون وامتدت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب .

وبجانب روح المسلم الأول وفى مرحلة اقلاعنا الحضارى لابد أن تكون لدينا البصيرة والقدرة على حماية أنفسنا من الوقوع فى شراك التقليد والمحاكاة للحضارات الغربية دون تفريق بين مزاياها ومساوئها وأن نكون قادرين على حماية مجتمعنا الاسلامى فى طور نموه من الأمراض التى أصابت مجتمعات الغرب ومازالت تستشرى فيها .

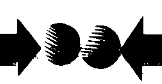


عناصر التحدي الحضاري

إذا كان جوهر التحدى الحضارى الذى يواجهنا كأمة هو أن نفتح عقولنا على عالم اليوم المتحضر المتحرك دائما المتجدد دوما لكسب ما لديه من علم متقدم وتكنولوجيا متطورة . . نأخذ منه ونعطى ونساهم ونتجاوب دون أن يخدعنا بريق الحضارة الزائف الذى يبهر الأبصار أوتجذبنا دوامات الفكر الزائغ التى يموج بها عالم اليوم المتحضر . . نفتح عقولنا على كل ذلك دون وجل أو تردد مادمنا متمسكين فكرا وأخلاقا بما نملك من عقيدة وإيمان وقيم ومبادىء .

نقول إذا كان ذاك هو جوهر التحدى الحضارى الذى يواجهنا فان لهذا التحدى عناصره التى تحتاج الى تعريف دقيق لها وفحص متكامل لمقوماتها وتمحيص عميق لمكوناتها حتى نتمكن بعون الله وتوفيقه من التصدى لها من موقع الثقة فى النفس والوعى اليقظ لنعبر باصرار ومثابرة عن مقدرتنا على بناء جسور حضارية قوية الأساس متينة المضمون بين تراث الأمة وواقع العصر وحتى نزيل أبشع قطيعة شهدها تاريخنا كأمة بين الماضى الزاهر والحاضر المؤلم .

إننا نعتقد أن عناصر التحدى الحضارى الذى نواجهه تكمن فى مجموعة قدرات نوجزها فيما يلى :



- القدرة على شحذ الفعالية الروحية للأمة .

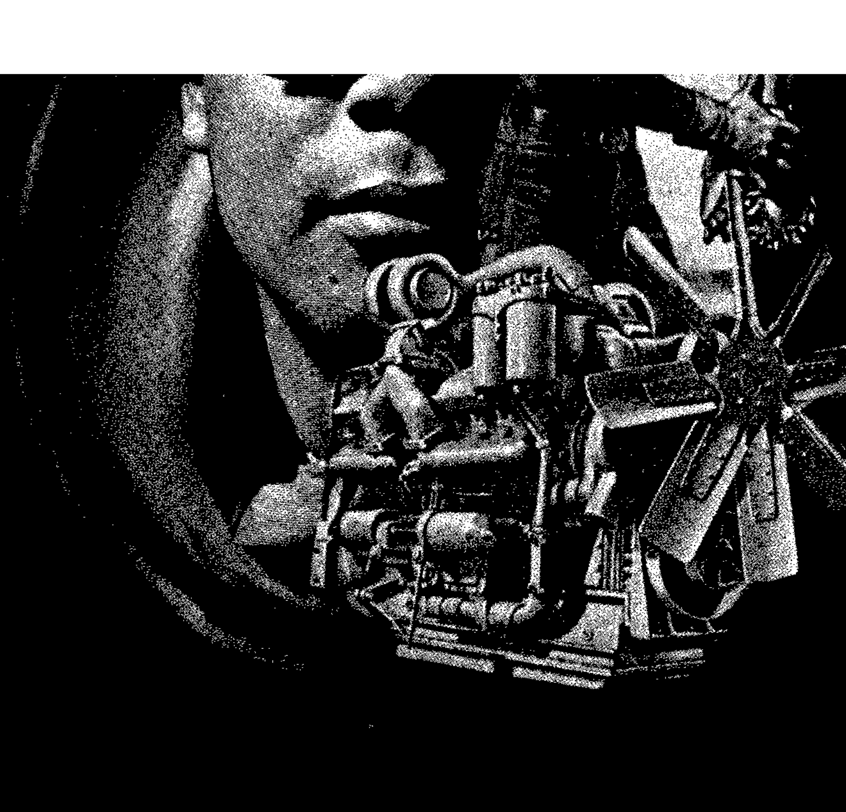
- القدرة على استيعاب حضارة العصر استيعابا كاملا .

- القدرة على تبنى أساليب الحضارة المعاصرة أو ابداع البدائل .

- القدرة على حماية المنجزات الحضارية للأمة .

تلك هى القدرات فى مجموعها وسوف نتعرض بالتحليل والإيضاح لأُولى هذه القدرات على أن نستكمل تفصيل الباقى فى الصفحات القادمة .







الفعاليّة الرُّوحيَّة

ان الإنسان ـ ولاشك ـ هو محور العملية الحضارية بل هو المؤسسة الحضارية الأولى التي يجب تكوينها وبناؤها البناء السليم .

إننا إذا نمينا قدرات هذا الانسان وصقلنا مواهبه ونفضنا الغبار عن عزيمته وفجرنا طاقاته تدفق عطاء حضاريا متجددا . لذا يجب بادىء ذى بدء شحذ الفعالية الروحية فيه . ونستخدم لفظ الفعالية لأننا لانريد الروحية المخدرة التى كانت ومازالت سببا فى عزل الإنسان المسلم فى اطار ذاته بعيدا عن مجتمعه وعصره ولكننا نريد الروحية الفعالة التى تجند امكاناته وطاقاته ليكون مستعدا للأخذ والعطاء وللتلقى والأبداع .

لسنا بعيدين عن الواقع إذا قلنا بأن غالبية ملحوظة من أمتنا المسلمة تعيش روحية خاملة أضفت عليها طابع الكسل وطوقتها بسياج التواكل وكبلتها بقيد الاستسلام حتى غدت بعيدة كل البعد عن مقومات عقيدتها التى تدعو الى العمل وتحض على الجهاد وتبث الإصرار وتُقوى العزيمة .

إن الخمول الفكرى الذى تعيشه الأمة الاسلامية قاطبة ـ باستثناء محاولات متبعثرة ـ يرجع مرده إلى أمرين أولهما تخاذل بعض قادة الفكر فى هذه الأمة أمام

الزخم القادم من وراء الحدود بما يحمل من فكر براق خادع وثقافة مضيئة زائفة وقيم رنانة خاوية ومبادىء باهرة تسلب اللب وتغوى الفؤاد وتهزم النفس بدلا من المواجهة القوية المؤمنة الصابرة وثانيهما هروب البعض الآخر من قادة الفكر الاسلامى فى مجملهم لا فى مجموعهم إلى الزوايا والأركان ممن تجمدوا بفكرهم وتقوقعوا بعقولهم أو جذبوا خلفهم حفنات من الدراويش تطبل وتزمر وتدعى بأنها تردد ذكر الله ! ! تلك هى الروحية الخاملة التى عزلت الإنسان المسلم فى اطار ذاته وذلك هو واقع الحال فى بعض أرجاء عالمنا الاسلامى لاينكره إلا خادع أو مخدوع .

وقد يتساءل البعض : كيف يمكن شحذ الفعالية الروحية للأمة ؟ !

إن الروحانيات الفعالة فى النفس المسلمة ترتبط بصورة مباشرة بعمق الايمان ومقدار الإخلاص للعقيدة والحرص على التمسك بالقيم والمبادىء المنبثقة منها . وتخضع عملية شحذ الفعالية الروحية فى الأمة لعدة عوامل من أهمها :

- حرص المنزل على القيام بدوره الأساسى المطلوب .
- مناهج التربية الدينية وطرق عرضها .
- برامج الإنتماء الوطنى ووسائل بثها .
- القدوة الصالحة وماترسمه من منهج عملى .

ودور المنزل فى شحذ الفعالية الروحية هو أول الطريق وبداية المشوار فهو الذى يعد لعملية التلقى التربوى فى المدرسة والجامعة والمسجد ، وبذلك يكون

المنزل مكملا لدور المعلم وذا تأثير كبير ومباشر على مدى تجاوب الطالب لمناهج التربية الدينية وبرامج الإنتماء الوطنى وإذا لم يمارس المنزل دوره فان المجهود يظل ناقصا مهما تعاظم والفعالية تبقى قاصرة مهما ارتفعت .

والتربية الدينية تعتبر من أهم المصادر الأساسية لتنمية الأشواق الروحية فى الأمة لذا فان برامج التربية الدينية لابد أن تصاغ بطريقة تعمق الإيمان وتزكى النفوس وتحفز الهمم وتحض على الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة وتدعو إلى المثل العالية والقيم الرفيعة وتعرض لنماذج حية من التراث الاسلامى الناصع مايقوى العزيمة ويدعم الثقة . ولايمكن للتربية الدينية أن تكون غير ذلك وإلا أصبحت عبئا على الطالب والمدرس وأصبح مردودها عكسيا لاقدر الله .

اننا ندعو إلى أن تخرج برامج التربية الدينية فى المدارس والجامعات والمساجد ودور العلم عن اطارها التقليدى وتقترب من أذهان الشباب ومشكلات عصره ببساطة الأسلوب وحسن العرض وعمق المفاهيم بدلا من أن تجعل الشباب يلهث خلفها فى محاولات مراهقه تفقده حيويته فى متابعة مايلقى عليه من دروس ومواعظ وارشادات . . اننا ندعو إلى بث الحيوية والديناميكية فى أساليب عرض المواد الدينية والثقافة الاسلامية بصورة تخلصها من القوالب الجامدة والأساليب العتيقة وتجعلها تتفاعل مع الشباب ليكون تجاوبه معها فعالا وحصيلته منها مثمرة . . وسوف يتحقق ذلك ولو جزئيا باذن الله اذا أفسحنا المجال أمام الشباب كى يسأل ويناقش لِيَفهم ويُفهم فى اطار من التوجيه الصحيح والرفق الدؤوب والحزم الواعى .

وتأتى التربية الوطنية منبثقة من التربية الدينية ومعاونة لها وموضحة لمبادئها ومعززة لقيمها فتكون المحصلة حفزا على العمل الجماعى واستعدادا للتضحية واخلاصا فى الأداء ونبلا فى العطاء ووفاء فى الجهد . ونؤكد مرة أخرى أن برامج التربية الوطنية إن أريد لها المردود الفعال - فيجب أن لاتنفصل من حيث المحتوى والمثل والقيم والنماذج والأمثلة عن ماتدعو إليه برامج التربية الدينية لأن غير ذلك مهما كانت مبرراته - إن وجدت - سيخلق انفصاما فى الشخصية لدى المواطن طفلا كان أم شابا .

نقول ذلك ونحن نعلم أن مجتمعنا ينبت من جذور العقيدة ويترعرع فى ظلالها ولن تستطيع برامج التربية الوطنية أن تصل إلى الأفئدة فتبصرها والى النفوس فتوقظها والى العقول فتنيرها ما لم تكن نابعة من الدين ومرتكزة على مبدأ « حب الوطن من الايمان » بكل مايحمل هذا المبدأ من تبعات ومسئوليات فى النفس المسلمة .

والقدوة الصالحة تمارس دورها عمليا فى شحذ الفعالية الروحية للأمة واعطاء المثل الحى فى حسن الخلق واخلاص العمل ومثابرة الجهد وصدق العطاء إذ أن للقدوة سحرها الجذاب ومردودها العميق فى النفس البشرية تعجز الكلمات والخطب والوعظ والإرشاد وكل وسائل الايضاح ماعرف منها ومالم يعرف من أن ترقى إلى مستوى ماتتركه القدوة الصالحة والمثل الجيد فى النفس . ما أجدرنا ونحن نعيش مجتمع الكلم الطيب والعمل الصالح أن نعطى القدوة ماتستحقه من عناية واهتمام بوضع النماذج الحية والأسوة الطيبة فى المجتمع بأسلوب علمى وتطبيق عملى .

تحضرنى بهذه المناسبة قصة معبرة كنت قد قرأتها فى كتب الوعظ عن عالم وهبه الله ملكة الخطابة المؤثرة ومقدرة الحديث المشوق فكان الناس يلتفون حوله فى شوق لسماع وعظه وما أن ينفض مجلسه حتى يتطلعون إلى لقائه . اقترب منه يوما عبد من الرقيق ضاق من عيش الرق وتاقت نفسه إلى الحرية وهمس فى أذنه برجاء أن تكون خطبة وعظه القادمة عن عتق الرقيق لعل الله يهدى سيده ـ وكان من المواظبين على سماع الشيخ ـ فيتأثر بالخطبة فيعتقه فوعده بذلك . وطال على العبد انتظاره فى أن يبر الشيخ بوعده حتى كان يوما تحدث فيه عن العتق وما فيه من مثوبة وأجر ومايناله العاتق من رضاء الله وحسن جزائه ومايشعر به من سعادة وبهجة أن منح الحرية لإنسان . وكان الشيخ كعادته موفقا وجاء حديثه مؤثرا لمس شغاف القلوب بالمحبة وملأ الأفئدة بالخير وغمر الصدور بالنور . فنالت الموعظة من قلب سيد العبد مكانها فعتقه وتحققت أمنية العبد ونالت نفسه بغيتها فجاء إلى الشيخ الواعظ ليشكره ويحمد له صنيعه ثم عاتبه على تأخره فى انجاز وعده حتى كاد اليأس أن يبلغ منه محله فقال له الواعظ بتأثر واضح : لقد كنت أملك عبدا يقوم على خدمتى ويقضى حوائجى وأنا فى هذا السن المتقدم وأردت أن أعتقه واحتجت إلى كل هذا الوقت لجمع بعض المال كى أستأجر به من يؤدى عمله بعد أن أعتقه . . لقد أراد الشيخ الواعظ أن يبدأ بنفسه قبل أن يعظ غيره فجاءت خطبته بكل الصدق والعمق والتفاعل وكان قدوة لسواه .

هذه قصة سردناها لندلل على أهمية القدوة فى الإرتفاع بالقيم الروحية فى الأمة . فعندما يقف الواعظ ليرشد الناس فى المدرسة أو الجامع بكل مايملك من بلاغة فى الحديث ومقدرة على الخطابة وتشويق فى الإلقاء سوف يتأثر بقوله

المجتمعون ثم ما يلبث أن ينفض الجميع وقد يبقى فى نفوس البعض منهم بقايا مما سمعوا من حديث الوعظ لكن التأثير يظل فى النفس دائما إذا ماعرف الناس أن الواعظ هو أول من يطبق مايقول ويعمل بما يدعو له . . والتاجر فى متجره لاتبرز أمانته وصدق معاملته من خلال الألفاظ بل من خلال التعامل المتفاعل مع المشترى . والموظف الكفء فى عمله يمكن أن يصل بأدائه الى الجدية والجودة إذا وجد فى رئيسه القدوة الصالحة . . وهكذا فى باقى قطاعات حياتنا وطرق معايشنا علينا أن نتمثل دور القدوة ومسئوليتها فى قوله تعالى(١) :

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلاتعقلون ﴾ صدق الله العظيم

وفى قوله جلت قدرته(١) :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ﴾ صدق الله العظيم .

وفى حديث المصطفى ﷺ :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والولد راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته والعبد راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته . ألافكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

أو كما قال عليه السلام . .

---

(١) سورة البقرة (الآية ٤٤)　　(٢) سورة الصف (الآية ٢ ، ٣)

ورغم الأهمية القصوى لشحذ الفعالية الروحية فى مرحلة الإقلاع الحضارى فان الحاجة لهذه المهمة تظل قائمة لاستمرارية الحضارة ، حيث تمدها الحضارة بوسائل جديدة تواكب مقتضيات العصر . . فتتفاعل معها وتنطلق بها إلى رحاب واسعة ، وعندما تنسى الأمة هذه المهمة تبدأ مشاكلها مع البقاء .

وعملية بث الاشتياق الروحى للقيم فى الانسان المسلم موضوع الحضارة هى ولاشك عملية هامة وتحتاج إلى علم بها وصبر عليها ورعاية لها . . ولايهم هنا كيف بثت الأشواق . . وانما المهم أن يحدث تفريغ للطاقة الروحية المبثوثة فى اتجاه واحد وهو اتجاه البعث الحضارى للأمة . . وأن ذلك ليذكرنا بالأسس العلمية لجهاز الليزر .

ويبرز سؤال جاد : من الذى يقوم بمهمة شحذ الفعالية الروحية للأمة ؟ . . .

بالتأكيد هى ليست مهمة السياسى . . فهذا رجل مشغول بصيانة منجزات الحضارة . . .

وليست هى كذلك مهمة حفظة التراث . . فهؤلاء مشغولون بتنظيم الكتب فى رفوف رؤوسهم .

وليست هى كذلك مهمة هؤلاء المهنيين المنشغلين بدقائق مهنهم المنصرفين اليها بكلياتهم .

إنما هى مهمة النفر القدوة المؤمنة بالله وحده ايمانا عقلانيا لايخالجه شك ولاتحيط به ريبة . . انها مهمة النفر القدوة التى تخاطب العقول وتوقظ المشاعر وتضع حلولا علمية عملية لمشكلات المجتمع كى يكون قادرا على مواجهة

تحديات الحضارة ومعطياتها الجديدة فتترجم بذلك . . رسالة الايمان الى تصور ذهنى وسلوك عقيدى يضىء بالقدوة أكثر مما يضىء بالفلسفة ويجمع حوله القلوب والأفئدة فتنساب فى سلوك جماعى تلمسه فى تصرف البسطاء من الناس كما تراه فى علمائهم .

وهى أيضا مهمة الجامعات التى لابد أن تفرغ لإثارة الوعى الحضارى المتمثل فى التصور الذهنى والسلوك العقيدى المنبثقين عن الرسالة التى آمنت بها . . فوظيفة الجامعات الأساسية ومهمتها الأولى هى تكوين المؤسسة الأولى للحضارة ألا وهى الإنسان المسلم السوى القدوة المستعد للتلقى والابداع الحضاريين .

إن الحضارة فى طور نموها الكامل سوف ترث كل تصورات وأخلاقيات هؤلاء النفر القدوة الذين وضعوا بذورها . . وأن طبيعة الرسالة سوف تحدد معالم الحضارة وتمنحها طابعها وتعطيها خصائصها . .



استيعاب حضارة العصر

إن حضارة العصر التي تبدو لنا في غاية التعقيد قامت على أساس العلم ومدخلنا إليها لن يكون إلا عن طريق شحذ الفعالية العلمية للأمة . وسبيلنا إلى شحذ الفعالية العلمية هو جهازنا التعليمي المتطور .

لقد أمضى الغرب زهاء خمسة قرون ليبني قلاعه العلمية والتكنولوجية والقارىء الموضوعي لتاريخ الإنسانية لايملك إلا أن يعترف بأن أعمال العلماء العرب والمسلمين تحتل أنصع صفحات التراث العلمي العالمي فقد كانت تلك الأعمال الركيزة الأساسية التي قامت عليها الحضارة الغربية ، إذ أن جذور شجرة الحضارة العلمية المعاصرة تمتد إلى عصور السمو في الحضارة العربية الاسلامية حين ازدانت تلك العصور بمئات من العلماء العرب والمسلمين الذين أقرنوا بمساهماتهم الى أعاظم العلماء في كل عصر . لقد كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيروني وابن سينا والخوارزمي والرازي والزهراوي والغافقي وابن يونس والصوفي والكندي وابن رشد وابن زهر ومن اليهم لكي يتسنى ظهور كبلر وكوبرنيق ونيوتن ودالتن واينشتاين ومن اليهم . . تلك حقيقة نذكرها بكل فخر ونشير إليها بكل اعتزاز لنوقظ بها المشاعر ونحفز بها الهمم ونحيي بها النفوس .

نقول لقد أمضى الغرب هذه القرون الخمسة ليبني حصونه العلمية ويحقق منجزاته التكنولوجية . . وكان لكل فرع من فروع العلم والتكنولوجيا مسيرة معينة تتميز بفترات التكدس والإستيعاب ثم فجائيات الإبداع . . دعونا ندلل على ذلك الأمر ونزيده توضيحا بأن نضرب مثلا بفرع من فروع المعرفة يعتبر

العمود الفقرى للتكنولوجيا المعاصرة وهو علم (الميكانيكا) فى عصر ماقبل العالم (كبلر) .

كان علم (الميكانيكا) عبارة عن مجموعة معلومات مكدسة عن حركة النجوم والكواكب لايستبين الإنسان قوانينها ثم جاء (كبلر) واستخرج منها قوانينه الثلاثة المشهورة . فاستغنت الإنسانية على يديه عن هذا الركام الضخم من المعلومات واستبدلته بثلاثة قوانين لاتشغل أكثر من نصف صفحة ، تهتم بمسار جسم تحت تأثير قوة جذب مركزية . وفى الفترة ما بعد (كبلر) كان علم الميكانيكا يزداد بطريقة تكدسية . . معلومات متفرقة عن أشياء متفرقة لايبدو واضحا ما يحكمها من قوانين . . حتى جاء (اسحاق نيوتن) فأحدث باكتشافه لقوانين الحركة الثلاثة فجائية ابداعية كانت من بين الأسس العظيمة التى بنى الإنسان عليها حضارته العلمية والتكنولوجية المعاصرة . إن قوانين (نيوتن) الثلاثة لاتصف حركة الكواكب والأقمار فى مساراتها فحسب وانما تصف ديناميكية التحرك لكل الأجسام تحت تأثير أى نوع من القوى .

واستمر علم (الميكانيكا) بعد ذلك فى حالة تزايد تكديسى دونما طفرة حتى جاء (اينشتاين) فعمم قوانين (نيوتن) فى طفرة ابداعية أخرى بحيث أصبحت قوانين (اينشتاين) قادرة على وصف حركة الأجسام الدقيقة ذات السرعات العالية التى تقترب من سرعة الضوء .

ومنذ أن نشر (أينشتاين) بحثه عن النظرية النسبية الخاصة فى عام ١٩١٦م ، وحتى الآن يتزايد علم الميكانيكا تزايدا تكديسيا فى انتظار طفرة ابداعية جديدة تأخذ الإنسانية إلى مجالات أرحب من التقدم والسمو . .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : كيف تستطيع أمتنا وهى تقف عند أبواب القلاع العلمية والتكنولوجية لحضارة الغرب أن تستوعب علوم الغرب وتكنولوجياته ؟ هل هناك جدولة زمنية لتتابع ادخال علوم وتكنولوجيات بحيث إذا استوعبنا مرحلة انتقلنا الى مرحلة ثانية وهكذا . . ؟

فى اعتقادنا أن فى محاولة تدريب مجتمعنا الناشىء علميا لابد أن نأخذ بعين الإعتبار المسار التاريخى لتطور العلوم والتكنولوجيا فى الغرب . إن الأمة الجادة يمكنها أن تختصر ٤٠٠عام من تاريخ التطور العلمى والتكنولوجى للعالم الغربى الى ٤٠ عاما أو أقل ولكنها لايمكن أن تستسيغ الحضارة دفعة واحدة مهما أوتيت من مال .

ان التكنولوجيا الحديثة نشأت من تزاوج العلم والحرفة ومن اصرار المجتمع على هذا التزاوج فى صورة مراكز تطوير الصناعات المختلفة .

ولذلك فنقطة البدء هى تعليم الحِرَف وانتشارها بين الأغلبية الساحقة من أبناء المجتمع . . بينما يتوجه جزء للتعليم الفنى ليكون قادرا على تطوير الحرفة ونموها . . ينفر من ذوى العقول النادرة من هو قادر على تتبع مايطرأ على العلوم من تطور ونظريات والنظر فى امكانية تسخيرها لخدمة التكنولوجيا المستحدثة .

قد نستطيع القول أن أمة تحاول أن تبنى لنفسها قلعة علمية وتكنولوجية يجب أن توجه ٨٠ فى المائة من أبنائها لأعمال حرفية و١٠ فى المائة لأعمال فنية و٥ فى المائة للعلوم والبحوث و ٥ فى المائة لشحذ الفعالية الروحية للأمة . ومع أن هذه نسب تقديرية تقبل المناقشة إلاّ أنها تؤكد أهمية أن تنتشر الحرفة والمهنة بين الغالبية من أبناء الأمة كما كان الحال فى تجربتى اليابان وألمانيا قبل الحرب

العالمية الثانية وبعدها .

إن أرباب التكنولوجيا الحديثة لن يسمحوا بتعليم دقائقها لآخرين . . هذا هو الواقع فى عالمنا المعاصر . . إن علينا أن نعى جيدا أنه لن يمكننا الحصول على دقائق التكنولوجيا المعاصرة حتى لو دفعنا من أجلها المال الوفير .

. . . طريقنا إلى التكنولوجيا الحديثة لابد أن يمر بمراحل علمية تشبه التطور الزمنى فى بلاد الغرب .

إن مايسمى بنقل التكنولوجيا من دولة متقدمة إلى دولة متأخرة هو فرية كبرى صدقتها شعوب العالم الثالث وظنت معها أن التكنولوجيا سلعة تبيعها لها الأمم المتقدمة بقدر من المال ولانريد أن ندلل على صدق مانقول بأكثر من الاشارة إلى فشل مؤتمر الأمم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية الذى عقد فى فيينا فى أغسطس ١٩٧٩م . وهو مؤتمر علمى عالمى كان يهدف إلى معالجة قضايا العلوم والتقنية ومن أهمها بحث سبل ووسائل نقل التكنولوجيا وقد تطلعت إليه شعوب العالم الثالث بأمل وطموح والمفروض أن يكون قد حضر اجتماعاته صفوة مختارة من علماء ومهندسى واقتصادى العالم بعد أن قضى منظموه ثلاث سنوات فى التحضير له .

إن من حضر جلسات المؤتمر وسمع مادار فيها من مداولات وطرح فيها من آراء أو حتى قرأ ماكتب عن المؤتمر بعد انفضاضه يعرف موقف الدول المتقدمة من قضية نقل التكنولوجيا ـ وهى من أهم قضايا الفقه العالمى المعاصر ـ ولابد أنه قد تعرّف على أن من أهم أسباب فشل ذلك المؤتمر هو صلف وتعالى ومساومات وعدم صدق الدول التكنولوجية ـ ان جازت التسمية ـ فى تعاملها مع

الدول المتخلفة مما أدخل المؤتمر فى متاهات قادته إلى حتفه .

إن الذى يزيد النفس أسى وحسرة هو أن شعوب العالم الثالث مازالت تعيش فى هذا الوهم الكبير بعد أن نسجه لها خيال نفر من أبنائها ممن فقدوا صفاتهم وافتقدوا خصائصهم أمام انبهارهم بحضارة الغرب وتعلقهم بتقدمه التقنى فانخدعوا له وخدعوا شعوبهم به .

إننا نعتقد أن التكنولوجيا لاتنقل ولكنها تستنبت بالجهد والمجاهدة وتستوعب بالصبر والمثابرة وتنمو بالعزيمة والإصرار وقد آن الأوان لمن يعيش فى وهم نقل التكنولوجيا أن يستيقظ على الحقيقة .

دعونا نزد هذا الأمر ايضاحا فنضرب مثلا بصناعة السيارات . المعروف أننا لايمكن أن نصنع سيارة من غير أن نتعلم كيف نصنع ترسا من تروس نقل الحركة . صحيح أن الكتب العلمية تمتلىء بالمعلومات النظرية والنظريات العلمية عن كيفية صناعة ترس ولكن لابد أن يجىء المهندس ليحول هذه المعلومات إلى « روتين » يقوم الفنى بتبسيطه للعامل ليصنعه وقد ينشأ عن ذلك مشاكل فى التصنيع فيرفعها المهندس لمجموعة التطوير من المهندسين والعلماء لتبدأ محاولات وتجارب تتوصل بها مجموعة التطوير إلى حلول علمية لمادة الترس ومعالجتها الحرارية وطريقة تصنيعها . ويترجم المهندس ذلك كله فى خطوات واضحة للفنى يتولى الأخير تنفيذها بعد ذلك مع العمال .

اننا نصنع تروسا فى بعض بلادنا العربية ولكن الشكوى الدائمة منها هى أن المعاملة الحرارية لسطوحها رديئة جدا إذا ماقورنت بالتروس الأوربية . . أى أن هناك دقائق فى الصناعة الأوربية لايمكن أن نحصل عليها إلا إذا وفقنا اليها

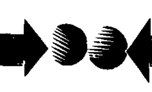
عن طريق العلم والتجربة فأوربا لن تمنحنا السر التكنولوجى للتركيبة المعدنية لمادة الترس التى جعلته متفوقا مهما أغدقنا عليها من المال .

لقد أخذت الحضارة الغربية . . أربعمائة عام لتصل بتروسها إلى حالتها الحالية وحققت ذلك من خلال الاصرار على تزاوج العلم والتكنولوجيا .

ونحن يمكننا أن نختصر هذه المدة إلى عشرها أو أقل شريطة أن نلتزم بتزاوج العلم والتكنولوجيا زواج تأبيد وأن نتبصر بالتتابع الزمنى فى عملية تدريب الأمة على الحرف والتكنولوجيات المختلفة .

إننا نستطيع أن نسقط عمر الحضارة العلمية والتكنولوجية المعاصرة على عمر الإنسان فى أمتنا فنبدأ معه منذ الطفولة نعلمه مثلا كيف تنتقل الحركة بالتروس والسيور وكيف نصل الأشياء بعضها ببعض . . أى نعلمه نظرية الآلات مبسطة حسب ادراكه وسنه . . متطورين معه كما تطورت الحضارة فى طريقها الطويل . . علينا أن نغرق مدارسنا فى جميع مراحل الدراسة بنماذج علمية وألعاب تقنية ونفسح المجال أمام أطفالنا وطلابنا لكى يقضوا وقتا مع هذه النماذج والألعاب ليتدربوا عليها ويلتصقوا بها فيعشقوا العمل المهنى من الصغر ليكبر معهم ويكبروا معه ونكون بذلك قد وضعنا الأساس السليم والقوى لقيام صناعة وطنية كما أننا نزيل عن أنفسنا عناء الاعتماد على الغير من القادمين من خارج الحدود فنعين مجتمعنا على التقليل من استيراد العماله من الخارج فنحميه بذلك من مشكلاتها وتبعاتها .

إننا مازلنا نذكر يوم كنا ندرس فى جامعات أمريكا أمثلة حية من فعالية الشعب الأمريكى وواقعه الإجتماعى عندما كنا نرى رئيس جامعة أو استاذا بها



أورئيس مجلس ادارة شركة يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة وينال احترام الجميع يقوم بقص الحشيش فى حديقة منزله بنفسه ويصون سيارته فى ورشة منزله فى عطلة نهاية الأسبوع دون حرج أوتردد . . مثل هذا الرجل يجد متعة لاتعادلها متعة عندما يقدم على اداء هذا العمل .

إن الوصول بالطفل إلى هذا المستوى من الإعتماد على النفس منذ نشأته وداخل مدرسته وفى المنزل يحتاج إلى اعادة نظر جذرية فى مناهج التعليم وطرق تدريسها كما يحتاج إلى انشاء نواد للعلوم فى المدارس والجامعات يلتحق بها الطالب بغض النظر عن تخصصه الدراسى .

ولكن هذا يستدعى تطوير أجهزتنا العلمية وأنظمتنا التربوية وبرامجنا التعليمية . كما أن الأمر يحتاج إلى جهد مضاعف لبناء أجهزة متمكنة متخصصة تعنى بهذا النوع من التعليم الحرفى لعامة الناس ومن رغب من خاصتهم .

إن العلم هو الذى يصنع من أبجديات الحِرَف والمهن كلاما مفهوما نسميه تكنولوجيا وينتج مفكرين يصنعون فكرا يختلط فيه العلم والذوق والفن فيما نسميه حضارة .

إننا نود أن نقول أن هناك ضروريات لابد من مراعاتها وفهمها فى عملية الإستيعاب الكامل للحضارة المعاصرة نوجزها فيما يلى :

- الإستيعاب الكامل للحضارة المعاصرة يعنى استيعاب الأصول والطرائق والنظم أما الدقائق فهذه لايمكن لأصحاب الحضارة منحها وإنما تدرك بالممارسة الواعية والتفاعل البناء .

ـ لابد أن لاتسبق الحالة العلمية للأمة الحالة التكنولوجية فيها بكثير لأن ذلك يؤدى إلى انفصال العلم عن التكنولوجيا .

ـ لايمنع ذلك وجود قلة من المتخصصين فى الجامعات ومراكز البحوث تنفرد للعمل عند مشارف العلوم وتكون مهمتها التطوير المستمر للعلوم لتصبح أكثر ملاءمة لتحقيق الهدف التكنولوجى .

ان هذه الضروريات والمفاهيم التى أسلفنا ذكرها ستضع شروطا جديدة على أجهزتنا العلمية وأنظمتنا التربوية وخططنا التعليمية فالواضح أن الأنظمة الحالية لاتحقق الأهداف التى ذكرناها وإذا لم تتطور فإنها تخلق فى بعض الأحيان تناقضات من شأنها أن تعيق عمليات الإستيعاب المطلوبة . إن بعض أنظمتنا التعليمية تسرف مثلا فى التركيز على التعليم الجامعى كبديل وحيد للتعليم العالى ومازالت أعداد ضخمة من طلاب هذا النوع تتجه إلى علوم الإنسانيات .

بإيجاز نؤكد أن الدعوة الى استيعاب حضارة العصر ليست مقالا يكتب أوكتابا ينشر أوحديثا يذاع أوخطبة تلقى ولكنها جهاد ومعاناة تساهم فيها الأمة بكل مؤسساتها ومعاهدها ومعاملها ورجالها .. إن استيعاب العصر بحضارته الباسقة وتحدياتها المضنية تعنى أن تعقد الأمة العزم على البناء والمثابرة وأن تسقط من حياتها مظاهر الترف والدعة والركون الى الاستسلام والاتكالية حتى تستطيع أن تتهيأ لعملية الإستيعاب المعاصر لتقيم البناء الحضارى على عمد ثابتة راسخة متينة نلتزم فيه ومن خلاله بإعادة النظر بصورة جذرية ومتعمقة الى كل نظم حياتنا ووسائل معيشتنا فى اطار عقيدتنا وقيمنا.



تبني أساليب الحضارة المعاصرة أو إبداع البدائل

مع التطور المستمر والنمو المضطرد للمؤسسات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية للحضارة الغربية المعاصرة ، تطورت ونمت النظم المهيمنة على هذه المؤسسات منبثقة من مبادىء وأخلاقيات شحذت الفعالية الروحية لأصحاب تلك الحضارة فى مرحلة الإنطلاق الحضارى وظلت تعدل نفسها مع تغير المفاهيم والأخلاقيات فى مجتمعات ترى أن جوهر الأخلاق متغير غير ثابت .

ومشكلتنا كمسلمين ونحن نقف على أعتاب الحضارة الغربية أننا نريد أن نبنى مؤسسات حضارية شبيهة بأختها فى ديار الغرب وتقوم على نظم تنطلق من مبادىء وأخلاقيات غير متطابقة مع المبادىء والأخلاقيات التى انطلقت منها حضارة الغرب .

ومحنتنا أننا لانعرف أننا لانملك النظم الحاكمة للمؤسسات الحضارية المطلوبة وكل مانملكه مجموعة من المبادىء والقيم التى يمكن أن تنبثق عنها النظم المرجوة .

ومحنتنا أيضا أننا لاندرك أن النظم الحاكمة لاتولد فتية متكاملة بل تبدأ طفلة وتنمو مع التجربة والمحاولة والخطأ والصواب . . لايحكمها إلامحاولتنا الدائمة أن نجعلها لاتميل ولاتحيد عن مبادئنا وقيمنا وأخلاقياتنا . . فان حادت أومالت لابد أن نعيدها عن طريق نظام دائم للتغذية الخلفية كما نقول فى علم نظم التحكم الآلى .

إذاً فان استبان لنا أننا لانملك النظم الحاكمة للمؤسسات الحضارية المرجوة أصبح واضحا أمامنا خياران :

الخيار الأول : أن نتبنى المؤسسات الحضارية الغربية بوضعها الحالى آخذين فى الإعتبار أن نظمها الحاكمة ومدخلاتها الانتاجية تحتاج إلى تعديل وتبديل يأتى عن طريق الممارسة والتجربة والإصرار على تحقيق المبادىء والقيم والأخلاقيات فى النظم المعدلة للوصول بها إلى معطياتها الحضارية دون الاصابة بسلبياتها الاجتماعية والفكرية .

والخيار الثانى : أن نبدع البدائل . . وهذا أمر لايفتى فيه غير متخصص فى أعمال مثل هذه المؤسسات .

إن خيار ابداع البدائل للنظم لابد أن يوضح ويحدد دور فقهائنا وعلماء الدين فينا بأنه دور العين السحرية الثاقبة المتبصرة فى نهاية خط الانتاج . . أى دور التحكم فى النوعية . . النوعية التى تحكمها المبادىء والقيم والأخلاقيات الاسلامية . . فما وافقها من النظم مضى . . وماخالفها يعاد لأهل الإختصاص للتغيير والتبديل ونؤكد هنا أن أهل الاختصاص هم القادرون دون سواهم على التغيير والتبديل .

إن من السمات الواضحة لعالم الحضارة المعاصرة أنه عالم التخصص فى العلوم والمعرفة والتكنولوجيا حتى غدى الأمر وكأن لكل فرع من فروع العلوم الانسانية والتطبيقية والمجردة مدارس فكر متخصصة تنبثق عنها دقائق وتفصيلات يتفرغ لها فى محارب العلم ومعامل التجارب علماء وباحثون ومفكرون . . لقد انقضى العهد الذى كان فيه العالم الفرد موسوعة معرفة يلم



بعلوم الفلك والطب والتاريخ والفلسفة وعلم الأجنة وعالم الحشرات ويدعى لنفسه التخصص فى كل ذلك فى آن واحد . لقد تفتتت المعرفة إلى فروع وانقسمت العلوم الى جزئيات وتوسعت مداركها واتسعت آفاقها وتعقدت نتائج الأبحاث فيها وانقطع لها علماء وخلص إليها باحثون فأصبحوا متخصصين فيها وعالمين بدقائقها وأفردت لها بمعاهد العلم وجامعات المعرفة أقسام علمية متخصصة لاتشغل نفسها بغيرها وجندت لها امكانات العصر ومحدثاته من وسائل البحث وسبل التقصى .

إذاً فمهمة ابداع البدائل لابد أن يضطلع بها متخصص فى دراسات النظم التى تحكم مؤسسات شبيهة بالمؤسسات المرجوة كما أسلفنا . . اخذين فى الاعتبار أن البديل المقترح هو من قبيل المحاولة الإسلامية وليس هو الاسلام لأننا من خلال التجربة والاحتكاك قد نكتشف تقصير النظم المقترحة فى تحقيق كل جوانب مبادئنا وقيمنا وأخلاقياتنا فنلجأ إلى تغيير هذه النظم أواصلاحها حتى تكون أكثر تحقيقا لما ندين له ونؤمن به . إن الصراط المستقيم فى مثل هذه الأمور ليس واضحا من غير هداية الله . . وهداية الله لاتأتى إلا بالمجاهدة المستمرة . . فنحن ندعو فى كل صلاة[1] :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ صدق الله العظيم .

وربنا يقول :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين ﴾ صدق الله العظيم .

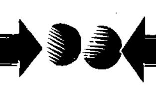
---

١ — سورة الفاتحة

ويبدو أن غياب هذا الفهم جزء من محنتنا . . فكثير منا يتصور أن الكتاب والسنة قد اشتملا على كل النظم الحضارية المطلوبة . . قلب فى الصفحات تجدها.

والحق الذى نؤمن به أن الكتاب والسنة قد اشتملا على كل المبادىء والقيم والأخلاقيات اللازمة لانبثاق نظم حضارية . . ولكن النظم الحضارية نفسها هى محاولات بشرية تنطلق متحررة من كل القيود إلا القيود الأخلاقية والمبادىء الأساسية التى يحددها الكتاب والسنة والتى نؤمن أنها خير أساس لقيام حضارة انسانية ليس كمثلها حضارة .

باختصار شديد أمامنا طريقان : طريق التبنى لنظم غربية مع العزم على تغيرها مع الزمن والتجربة لتوافق مبادئنا وأخلاقياتنا أوابداع بدائل لهذه النظم آخذين فى الإعتبار أن هذه البدائل ليست الصراط المستقيم وإنما هى محاولة للقرب منه وأنه عندما يثبت من الممارسة أن هذه البدائل أوقعتنا فى تناقض مع مبادئنا وأخلاقياتنا نصبح أحرارا حينئذ فى تبديلها وتغييرها غير متحجرين ولامتبلدين . . لايحكمنا فى الأمر كله « كما نؤكد دائما » غير قرآن ربنا وسنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه .



حماية المنجزات الحضارية للأمة

لعل من المسلّمات التأكيد على ضرورة حماية المنجزات الحضارية التى عملت الأمة على تحقيقها وبذلت الجهد للحصول عليها . فمنجزات الحضارة هى ثمار العمل الدائب والجهد المضنى والتضحية الغالية من الأمة بمختلف طبقاتها .

وحماية المنجزات الحضارية تعنى أول ماتعنى أن تظل المؤسسات الحضارية متطورة فى عملها ومتقدمة فى نظمها وحركية فى انجازاتها لأن فقدان هذه المؤسسات لعملية التطوير المستمرة والحركة الدائبة نحو الأفضل يدفعها للتقوقع والإنزواء ومن ثم الإضمحلال فتصبح نتيجة لذلك عبئا على الأمة تتمنى الخلاص منه وتركة مثقلة ترنو الى الفكاك منها وتعود الأمة الى حيث بدأت لتصارع من أجل البقاء .

ولعل من قائل يقول دع الحديث عن حماية المنجزات الحضارية الى مرحلة لاحقة بعد أن يتبلور للأمة ماأنجزته من صروح حضارية ولتكتفى الأمة فى المرحلة الأولى بتوجيه الجهود لإنشاء الحضارة لأن الحديث عن حماية الحضارة قبل انشائها حديث سابق لأوانه ونقول لمن قال هذا إنك مخطىء فقدرة الأمة على حماية نفسها مما أصطلح على تسميته بالأمراض الحضارية فى مرحلة إقلاعها الحضارى وفى وقت تلقيها للعملية الحضارية أمر حيوى وهام وجزء لايتجزأ من الإعداد الحضارى ولست أدرى لماذا يغيب عن الذهن واقع الأمم المتحضرة أو التى أطلقت على نفسها هذا اللقب فى زمننا المعاصر فهو واقع يعج بمختلف

التناقضات الإنسانية والفكرية والاجتماعية . . واقع تفتك به ألوان شتى وصنوف عديدة من الأمراض الحضارية الاجتماعية والفكرية والصحية وتنفق هذه الأمم (المتحضرة !) مبالغ ضخمة فى سبيل معالجة ومكافحة هذه الأمراض ولسنا فى حاجة الى التدليل لما نقول بأكثر من قراءة الصحف والمجلات المتخصصة منها والعامة التى تصدر فى المجتمعات الغربية لنتعرف على أمثلة عديدة من التفسخ الاجتماعى والتفكك الأسرى والإنحلال الأخلاقى .

إننا ندعو إلى حماية المؤسسات الحضارية فى أمتنا لكى نضمن سلامة مسيرتنا الحضارية التى بدأناها ولكى نطمئن على رسوخها الذى يستند على قيم أمتنا وأخلاقياتها المكفولة لها فى دين الله وعقيدة سيد المرسلين ﷺ .

وللحماية هنا شقان : شق ذاتى وشق خارجى وسنتعرض لكل منهما بشىء من التوضيح المركز :

الشق الذاتى

ونعنى به أن يكون الحرص واليقظة والتبصير نابعين من ذات الفرد المواطن ليحمى مجتمعه ويحرس المنجزات الحضارية لأمته ، إذ أن التجاوب الواعى من المواطن لما يمر بمجتمعه من تحولات ومايتعرض له من تغيرات يظل ذا أثر متجدد ومردود فعال ويفرض حول المجتمع سياجا من الضمانات الواقية لقيمه الصالحة من أن تذبل أوتزول ولأخلاقياته الكريمة من أن تضمحل أوتنهار .

إن الشق الذاتى مطلوب لحماية المنجزات الحضارية من الأمراض التى تصيب الحضارات عندما يصاب المجتمع بالغفلة والوهن ويركن للترف والدعة

وينسى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحيط به ملذاته وأهواؤه وتصدأ نفسه فيصبح عالة على غيره من الأمم . . يأكل مايزرعون ويلبس ماينسجون ويستهلك مايصنعون . ان مجتمعا كهذا يظل فاقدا لمعنى وجوده وغاية حياته وسبب جهاده مالم يواجه ذاته بعزم ويتفاعل مع منجزات الحضارة بعزيمة ليكون بذلك أهلا للوجود ومستحقا للحياة .

إن المجتمع المسلم لابد أن يُعدِّل دوما فى نظمه فى إطار مبادئه وقيمه وفى اطار الوقاية من الأمراض الحضارية . فلايسمح نظامه الإقتصادى مثلا بأن يوجد انسان مترف وبجواره فقير معدم . . أويسمح نظامه السياسى بأن يصبح الفرد آلة صماء لارأى له ولامشورة . . أو أن يكون نظامه الإجتماعى متفككا بحيث تنتفى منه روح الأخوة وتنعدم فيه روح الأسرة . . أو أن يعمل نظامه الثقافى على تبلد الفكر وركود المعرفة . إن واحدا من هذه الأمراض الحضارية التى تصيب المجتمع يكفى بأن يجعل المجتمع عاجزا عن حماية ماأنجزه وحققه ويصبح عرضة للاستسلام والاتكالية والعجز ويستشرى فيه حب المظاهر والتمسك بقشور الحضارة والتباهى بملذات الحياة الرخيصة . . عندها يخط المجتمع لنفسه طريق الإنحطاط الحضارى ويبدأ صراعه مع البقاء .

لابد إذاً أن تكون نظم الحضارة نظما فعالة . . تعمل على الرقابة الدائمة لنفسها ضد الأمراض التى تصيبها من داخلها .

وفى إطار الشق الذاتى تأتى أيضا القدرة على النمو الذاتى من غير الإعتماد على الإمداد الخارجى ويستلزم ذلك سعة سكانية واقتصادية من شأنها أن تتيح الاكتفاء فى فترات الصراع العالمى ومحاصرة الحضارة .

الشق الخارجي

يلعب الشق الخارجي لحماية المنجزات الحضارية للأمة دورا هاما فى درء الأخطار القادمة من وراء الحدود بجميع أشكالها ومنع الغزو المتسلل من خلف الثغور بشتى صوره .

إن هذا الشق يتعلق بالقدرة على بناء أجهزة دفاع قوية تذود عن حمى كل المنجزات الحضارية أمام أى أمة طامعة سواء كان هذا عسكرياً أواجتماعياً أونفسياً . وبناء الأجهزة هذه يحتاج إلى جهد متكامل وبصيرة نافذة ووعى متيقظ وفكر يقظ فلايكفى مثلا أن يكون لدى الأمة جيش دفاع قوى ومجهز بأحدث الأسلحة والعتاد بينما النظام التعليمى فيها لايحمى الأمة من الغزو الفكرى المضلل ولايعد الشباب لمواجهة أخطاره ، ولايبث فيهم روح الرجولة والإقدام ولاينشر بينهم القدرة على الصمود ببسالة وعلى الجهاد ببطولة .

فكرنا والحضارة المعاصرة

عَرَّفَ ابن خلدون الحضارة فى مقدمته بأنها نمط من الحياة المستقرة ينشىء القرى والأمصار ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والإجتماع والعلم والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الراحة والرفاهية .

وتعريف ابن خلدون للحضارة بهذه الطريقة يربطها ارتباطا مباشرا بالإستقرار المكانى كما أنه يشير إلى أنها تعبير عن نظم عديدة للحياة فى شتى مجالاتها ويأتى انشاء القرى والأمصار نتيجة للحضارة وكدليل على نموها ولعل هذا يعنى أن الرقى يبدأ فى الأفكار ثم يتبلور الى انجازات مادية وهذا يقودنا الى القول بأن الحضارة ترتكز على ركيزتين أساسيتين هما : الثقافة والمدنية ولكل من هذين اللفظين مدلوله . فالثقافة فى اللغة هى التهذيب والصقل يقال ثقف الرمح أى قومه وسواه ـ والثقافة اصطلاحا هى التطور فى الأفكار النظرية لنظم السياسة ونظريات الإقتصاد وأسس القانون ومبادىء التاريخ وغيرها مما اصطلح على تسميته فى الغرب بالإنسانيات والعلوم الاجتماعية .

والمدنية من الناحية الأخرى تعنى التقدم فى العلوم العملية والتجريبية كالطب والصيدلة والهندسة والزراعة والكيمياء وكل ماينبثق عن هذه العلوم . ومن الملاحظ أن المدنية ترتبط بالمدينة وبالاستقرار يعنى بالقرى والأمصار على حد تعبير ابن خلدون فلايمكن للطب أن يمارس أويتطور دون وجود مستشفيات ومرافق علاج ولاللهندسة أن تطبق دون وجود ورش ومعامل تجارب كما أن الاختبارات الزراعية لايمكن أن تكون نظرية فهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحقول والمزارع .

الاختبارات الزراعية لايمكن أن تكون نظرية فهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحقول والمزارع .

ولاشك أن الثقافة والمدنية وهما يشكلان العنصرين الأساسين للحضارة يلتحمان التحاما مباشرا ببعضهما كما أنهما يكملان بعضهما البعض فمن الصعب أن نصف مهندسا أوطبيبا مثلا بأنه غير مثقف وغير ملم بقضايا الاقتصاد المهمة لأن برامج ومناهج التعليم الهندسى اوالتعليم الطبى لايمكن ان تكون ذات مفهوم حضارى متطور مالم تعبر عن التكامل والتلاحم بين الثقافة والمدنية . . من هذا نستخلص أن مدلول الحضارة هو مزيج من الرقى فى مجالات شتى كالأخلاق والسلوك والتربية والعلوم التجريبية والبحته .

ومفهوم الحضارة الاسلامية لايخرج عن هذا المدلول بل يتعداه الى مفهوم أوسع وأشمل نتعرف عليه من خلال التعرف على المناخ الفكرى الاسلامى الذى أوجد هذه الحضارة وترعرعت فى أحضانه

فالفكر الاسلامى ينطلق فى مجالاته الرحبة والعميقة من خلافة الإنسان لله فى الأرض لعمارتها والانسان هو عنصر الحضارة وبانيها والمستفيد الأول من انجازاتها ولذا فإن الفكر الاسلامى الذى نمت الحضارة الاسلامية فى ظلاله بهذا المنطلق يشكل التربة الخصبة والمناخ الملائم لقيام هذه الحضارة . فتجرد المسلم واخلاصه فى عبادته لله وحده دون شريك أوقرين يوفر له الإستقرار النفسى والصفاء الذهنى اللذين يشكلان الحافز على العطاء الصادق وينعكس ذلك على أى عمل حضارى يقوم بانجازه كما أن التوجيه الإلهى للمؤمن فى التبصر والتدبر والتأمل والتفكير فى نفسه وفى من حوله من المخلوقات والجماد والنبات يدفعه الى

الابداع والتجديد والابتكار

وملامح الفكر الاسلامى تبدو واضحة وجليه من خلال ماجاء به الاسلام بمصدريه الكتاب والسنة من نهج وتصورات ومبادىء وأخلاقيات وتعليمات فى مجالات العقيدة والسياسة والاقتصاد والمرأة والتربية والسلم والحرب والتشريع والقضاء وكل مايتصل بالحياة فانبثقت عن هذا النهج اسلامى اجتهادات ونظم وقيم حياة أصيلة ومبتكرة وغير مسبوقة من الحضارات السابق سخرت لخدمة الإنسانية .

كما كان لمساهمات المسلمين الأوائل فيما ورثوه من تراث حضارى لأمم سبقتهم أثره الفعال فى حضارة العصر اليوم وقد كان هذا التراث منطويا ومهملا حتى أعاد المسلمون اليه الحياة وترجموه الى اللغة العربية وشرحوه وعلقوا عليه ولم يقفوا عند هذا الحد بل ابتكروا وأبدعوا وأضافوا وطوروا ماورثوه من انتاج حضارى قديم فى المجالات العلمية تلقته أوربا من بعدهم . والحديث فى هذا المجال يطول غير أن وقفة قصيرة عند أساس التقدم العلمى فى كل مكان وزمان يعكس دور المسلمين فيما تنعم به البشرية اليوم من حضارة تكنولوجية رفيعة المستوى . وهذا الأساس هو الطريقة التجريبية فى البحث العلمى الذى ابتدعها المسلمون (وهى مأثرة المسلمين العلمية ولم تكن معروفة قبلهم) كما يقول بريفولت **Priffault** فى كتابه « صنع الأنانية "Making of Humanity" »

إننا اليوم ونحن نجاهد فى هذا البلد الأمين لاستعادة ماضينا الحضارى أحرى بنا أن نكون متمسكين بمفهوم الحضارة الفكرى وأن لانفرط فى التسلسل المنطقى لإنشاء الحضارة أو قل ـ إن شئت ـ لبدء دورة حضارية جديدة ، وأعنى

بذلك أن تكون بدايتنا الحضارية فكرية لكى يرتكز الجانب المادى لما نقيمه من حضارة على الجانب الفكرى الذاتى لأمتنا . ومناخنا الفكرى بما به من أسس وقيم ونظم ومبادىء وأخلاقيات قادر على أن يسقى الأرض ويقوى العمد ويؤسس البنيان المادى الذى نطمح اليه ونتطلع نحوه . وواجبنا أن نعرضه على الناشئة بأسلوب يستولى على العقول فيحفزها لتبدع وعلى القلوب فينيرها لتبصر وعلى النفوس فيقويها لتنتج .

إن التأكيد على الدور الأساسى للفكر فيما نحن مقدمون عليه من حضارة وتقدم ومدنية ومانحن قائمون على تنفيذه من برامج وخطط تنموية شيء ضرورى وهام فالفكر هو نقطة الإنطلاق وهو ركيزة البنيان وهو عنصر التأسيس وبقدر مايكون الفكر واضحا وجليا بقدر مايكون البنيان الحضارى قويا ومتينا .

والحالة الفكرية لأية أمة من الأمم تتكون عادة من ثلاثة ألوان من الفكر هى : فكر تراثى موروث عبر الأجيال الماضية وفكر متسرب من الحضارات المعاصرة وفكر ذاتى هو نتاج الجيل المعاصر ولابد لنا من وقفة عند كل لون من ألوان الفكر الثلاثة هذه لنتبين اين تقف الأمة منه وكيف .

الفكر التراثى

الفكر التراثى الموروث هو عبارة عن تراكمات فكرية تراثية بما فيها من ايجابيات وسلبيات وبما فيها من حوافز ومثبطات وبما فيها من صعود وهبوط وبما فيها من تقدم وانحطاط تبعا حلبيئة التى أحاطت بالفكر والفترة الزمنية التى عاشها هذا الفكر .

وموقف الأمة من هذا النوع من التراث الفكرى لابد أن يكون موقفا متزنا وسويا نقبل منه مايقوى العزيمة ويضاعف احجهد ويتمشى مع واقع العصر . لأنه حصيلة الكثير من التجارب والمواقف الإنسانية التى مرت على الأمة الاسلامية خلال عصور مختلفة وفترات زمنية متباينة مما قد لايجعله بالضرورة ملائما أومتلائما أومتماثلا أومتطابقا مع تطلعات وآمال الجيل المعاصر لذا فموقف الأمة من الفكر الموروث أجدى أن يكون مةقف الباحث الأمين فى دروب المقلب فى نظرياته المتمكن من الأخذ منه بما يحقق الأصالة ويبرز الشخصية الذاتية للأمة دون تفريط وبدون افراط .

الفكر المعاصر

والنوع الثانى من الفكر هو الفكر الغازى المتسرب من الحضارات المعاصرة الذى يكاد يكون من أخطر ماتواجهه الأمة فى انطلاقاتها نحو حضارة عصرية حديثة . ومنبع الخطر فى هذا النوع من الفكر أنه أجنبى التربة غريب النزعة فقد تربى وترعرع وانتشر فى بيئات مغايرة وتحت كروف اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تختلف فى مضمونها عة بيئتنا وظروفنا الاجتماعية والثقافية والإقتصادية والسياسية وهو فى ذات الوقت معيار الحضارة ولساة حالها ووسيلة انتشارها . . بدونه لاتفهم الحضارة المعاصرة وبه يستقيم أمر التعرف على خصائصها . وموقف الأمة منه أحرى أن يكون موقف الحذر والتيقظ نأخذ منه مايتناسب مع القيم الفكرية فى مجتمعنا ونفتح له النوافذ بقدر مايتلاءم مع تصوراتنا للمبادىء الإنسانية كما عرفها لنا ديننا الحنيف .

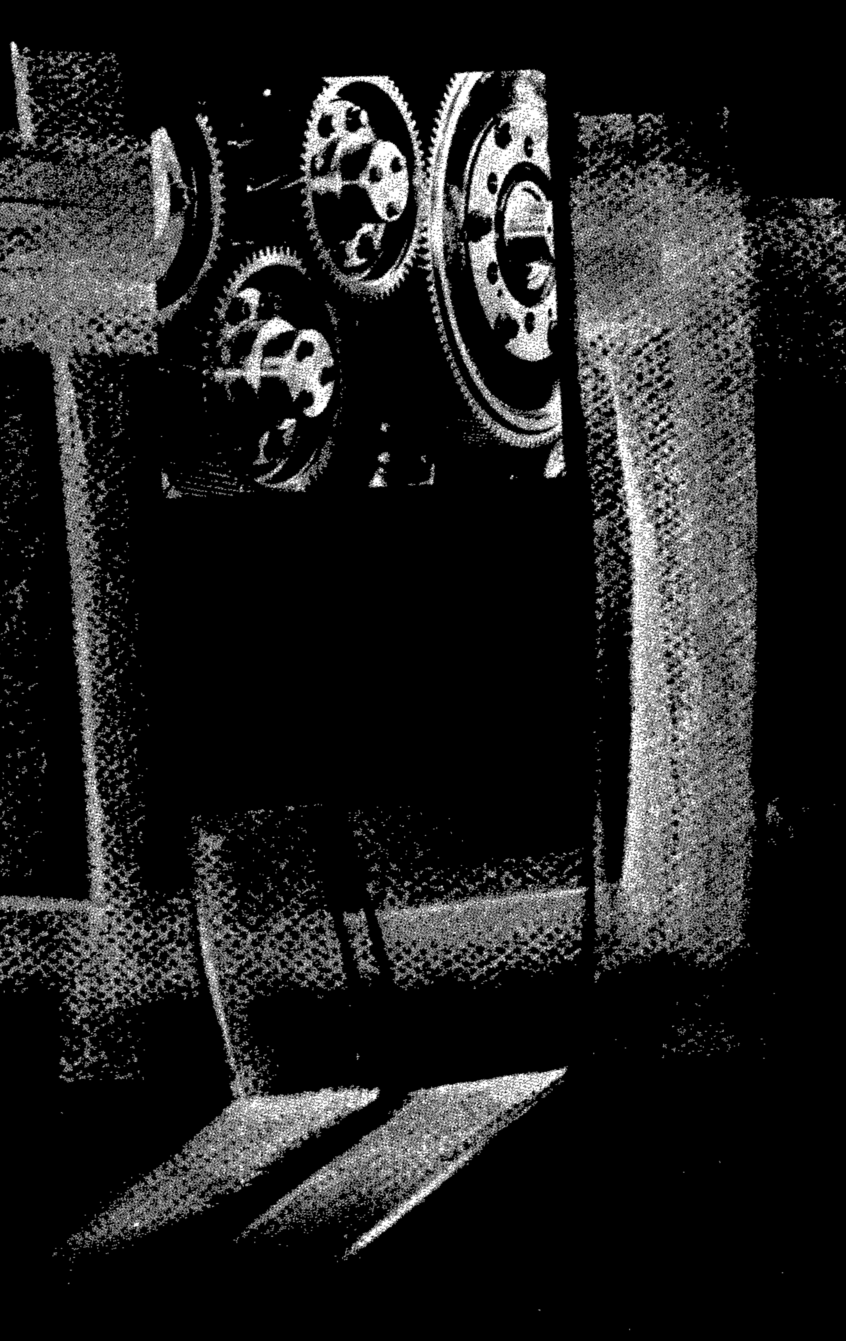
وعندما تتعرض الأمة لمعارك وصراعات بين ألوان الفكر المختلفة . . لفكر

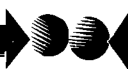
المتسرب من الحضارات المعاصرة وقد تمثل فى أنظمة متقدمة عصرية حية . . والفكر التراثى وقد تمثل فى أنظمة الماضى بعد أن أصبحت تاريخا وآثارا . . تجد نفسها فى حيرة فكلا اللونين من الفكر لايمثل الذاتية بالنسبة لها . . فالأول يمثل تغايرا فى المكان والثانى يمثل تباينا فى الزمان . . ان الحيرة الفكرية التى تتولد فى عقل الأمة وتترسب فى ضميرها نتيجة لهذا التغاير وذلك التباين تكون أشد تأثيرا عليها فى فترات الإعداد الحضارى خاصة عندما لايكون لهذه الحيرة عمق علمى أوسبب جوهرى بل يكون الأمر كله حيرة بين شعارات مختلفة تبدو متناقضة . عندها تجد الأمة نفسها تبحث عن الإنتاج الفكرى لجيلها المعاصر . . تجد نفسها تبحث عن فكرها الذاتى .

الفكر الذاتى

والفكر الذاتى هو ذلك البناء العقلى الذى ينمو من مجموعة القيم والمبادىء التى تمثل عقيدة الأمة والذى استقر فى وجدانها عن طريق الرسالة السماوية التى تؤمن بها وترسب فى ذهنها عن طريق رجال أوتوا الحكمة فطرة والهاما والحكمة ضالة المؤمن أنّا وجدها فهو أحق الناس بها .

وإذا كان الفكر هو البدء الحضارى فان الفكر الذاتى للأمة هو المؤشر الصحيح لها على طريق الحضارة وهو المقياس الأساسى لمنجزات هذه الحضارة ونحن كأمة مسلمة نملك بحمد الله الإمكانات التى تجعلنا قادرين على التبشير بميلاد دورة حضارية جديدة نلتزم فيها بعقيدتنا ونثبت معها على مبادئنا ونتمسك ونعتز فيها بأصالتنا وشخصيتنا دون جمود أوتخاذل أمام الفكر الإنسانى المعاصر وبدون قطيعة له .





قيود البعث الحضاري

إن من أهم وأخطر القيود التى تحد من مسيرة الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات هى تلك القيود التى تنبع من ذات المجتمع دون أن يكون لها أساس من عقيدته أو قيم الحياة الخيرة فيه مما يجعلها لاتخضع لمنطق ولاتحتكم الى عقل ويتحمل المجتمع وزرها .

وأهمية وخطورة هذه القيود على النمو الحضارى للأمة أنها تعيق انبثاق الحضارة وتقلل من قدرات الإنطلاق نحو الأفضل كما أنها تثبط الهمم وتميت الحوافز وتئد المبادرات ومالم يتحلل المجتمع من هذه القيود فان محاولات النهوض وبرامج الرقى فى هذا المجتمع لاتصل الى مرحلة النضوج قبل أن تصطدم بهذه القيود .

ويمكن تصنيف قيود البعث الحضارى الى نوعين الأول قيود تنظيمية والثانى قيود اجتماعية وسوف نستعرض كل نوع على حده لنتعرف عليه ومن ثم التفكير فى التخلص منه بصورة فعالة وحاسمة تضمن للأمة مسيرتها الحضارية بإذن الله وتوفيقه .

قيود تنظيمية

فى المجتمعات الراكدة الساكنة والتى تنقصها العقيدة الموحية للتفاعل لابداع حضارة تنمو وفق مسارها التاريخى . . فى مثل هذه المجتمعات لايرث

الناس الأفكار فحسب وإنما يرثون النظم . يقول الحق جلت قدرته[١] :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون ﴾ صدق الله العظيم

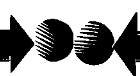
واعجاز هذه الآية الكريمة يكمن فى تنديدها بالتقليد والمحاكاة والنقل دون ادراك أوتمعن أوتمحيص الأمر الذى يتنافى مع ماوهبه الله للإنسان من عقل يفكر به فى الحق وقلب يهتدى به اليه . فهى إذاً تتحدى العقل البشرى وتحمله مسئولية التفكير والتبصر فى واقعه .

وبتعاقب الأجيال وقيام حضارات واندثار أخرى خلال المسيرة الإنسانية فى التاريخ يظل الأمر جليا فى أن الأفكار يجب أن لاتورث مع الأرض وإنما هى مهمة كل جيل أن يبصر لنفسه . . وكذلك الأمر فى عالم النظم التى هى وليدة عالم الأفكار . . فديناميكية الأفكار تستدعى ديناميكية النظم . . وديناميكية النظم تستدعى ديناميكية الأفكار .

وعندما تفقد الأفكار ديناميكيتها تبدأ النظم فى فقدان ديناميكيتها ويؤثر ذلك على الأفكار مرة أخرى فتفقد المزيد من الديناميكية وهكذا دواليك لتصل الأمة الى مانسميه فترات الإنحطاط حيث تتجمد الأفكار والنظم معا .

وعندما تكبر ـ بفتح الكاف ـ الأمة معلنة نيتها لبعث حضارى تصطدم بما ورثته عن الآباء من نظم جامدة فماذا تفعل ؟

- ١ سورة البقرة آية ١٧٠



لاريب أن أول الطرق هو بعث الديناميكية فى عالم الأفكار . . يقول الله تعالى[١] :

﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ صدق الله العظيم

وبعث الديناميكية فى عالم الأفكار هو مرآة طبيعية لشحذ الفعالية الروحية للأمة . . فالأفكار هى البنية العقلية التى تنمو من مجموعة القيم والمبادىء التى تمثل عقيدة الأمة قيدة بمجمةعة من الضوابط الأخلاقية لهذه القيم والمبادىء .

ان الأصل فى ديناميكية الأفكار هو أن نظم البشر قديمها وحديثها ينقصها الكمال وليس فيها شىء مقدس ةمن هنا يتحرك الفكر ليكمل النقص ثم يتحرك الزمن وتتغير الأحوال فيبدو فى النظم نقص ماكان ليراه الأولون فهو لغير زمانهم فيتحرك الفكر مرة أخرى لسد النقصان وإقامة العمران . .

أما اذا جمد الفكر عند نظم موروثة فقدسها فان هده النظم سوف تصبح قيدا حضاريا يعوق مسيرة الحضارة وتفاعل الإنسان مع البيئة والزمن .

إن القارىء لتاريخ الفكر الإسلامى ومساره سوف يجد آن من الأسباب الرئيسية لفترات الهبوط والانحطاط التى أصابت الحضارة الإسلامية كان جمود الفكر وعزلته الواضحة عن مجريات الأحداث والتحولات الاجتماعية التى عاشتها المجتمعات الإسلامية خلال تلك الفترات وهوماعرف فى تاريخ التشريع الاسلامى باغلاق باب الإجتهاد

إن مانود آن نؤكد عليه هنا هو أن لاتكون النظم الموروثة حاجزا للفكر أو قيدا للركب الحضارى وهذا التأكيد لايعنى اسقاط أى دور قد تقوم به تلك

١ — سورة الرعد آية ١١

النظم ويتمشى مع حركة المسيرة الحضارية إذ أن من الممكن تبنيها عند نقطة البدء إن كانت مازالت صالحة كنقطة بدء . ولكن لابد من الأخذ بعين الإعتبار حقيقة أنها سوف تتعرض لعمليات تحوير وتبديل وتغيير لنصل بها إلى الكمال المنشود أوبعض منه .

وإذا كانت بعض ،هذه النظم الموروثة لاتصلح حتى كنقطة بدء وكانت عجلة الزمان الدائرة تستدعى وجود نظم تحكم علاقتنا وشئوننا ورأى مفكرونا نظما أجنبية تصلح كنقطة بدء . . فلابأس فى هذه الأحوال من التبنى المبدئى لها واضعين فى الإعتبار أن هذه النظم سوف تعرض للتغيير والتبديل والتحوير لنصل بها الى توافق كامل مع حركة أفكارنا المنبثقة من عقيدتنا .

قيود اجتماعية

ان هذه مجموعة من القيود التى تقيد بها المجتمعات نفسها من غير أن تمليها عليها عقائد تؤمن بها أو فلسفة تهيمن عليها . . وهى مجموعة من القيود توارثتها المجتمعات جيلا عن جيل وربما كانت، منابعها عميقة عمق التاريخ المكتوب لهذه المجتمعات .

ولايعنينا فى هذا البحث العادات الإجتماعية التى لاتؤثر على قيام الحضارات سلبا أو ايجابا وانما يهمنا فيه العادات الإجتماعية التى تمثل قيدا على عملية البعث الحضارى نفسه

ونضرب مثلا بنوع من العلاقات الإجتماعية بين الأبناء والآباء السائدة فى كثير من مجتمعاتنا الاسلامية والتى تقوم على مفهوم التقليد والمحاكاة المطلقين

للآباء وهو تحريف شديد لمفهوم البر بالآباء فى الإسلام . ان مثل هذا النوع من العلاقات يؤثر تأثيرا بالغا على القدرة الإبداعية لدى الأبناء ويلقى ظلالا كثيفة على كل سلوكهم فى مجتمعهم الكبير وربما يكون هذا هو المنبع للتواكل والاستسلامية التى تصبغ كثيرا من مجتمعاتنا .

وفى مجتمعاتنا العربية تتخذ بعض علاقاتنا الإجتماعية أشكالا تعوق الضمير الفردى من الإنطلاق وتحده فى إطار الضمير الاجتماعى ولو كان خاطئا .

ان ضمير الجماعة غير ملزم لضمير الفرد فالقرآن ينكر على الإنسان أن ينجرف مع التيار الإجتماعى فمسئولية الإنسان مسئولية فردية . . وحسبنا أن نقرأ هذه الآيات فى محكم التنزيل لنتبين حث القرآن للإنسان المسلم أن يعيش بضمير يراقب الله وحده ويخشى الله وحده . يقول الله تعالى[١]

﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذى بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ماكانوا يعملون ﴾ صدق الله العظيم

إن التواكل والمجاملة على حساب المصلحة العامة والإسراف فى الاستهلاك فى المناسبات والأعياد والركون الى الكسل وعدم اتقان العمل وعدم المحافظة على المواعيد ومحنة التقليد والمحاكاة والتباهى والتمسك بالمظاهر والأخلاد لعالم

١ — سورة سبأ الآيات ، ٣١ — ٣٢ — ٣٣ —

الأشياء كلها عادات ليست من الإسلام فى شىء وتشكل عوائق أساسية لاقلاعنا الحضارى .

ان البعث الحضارى للأمة يقتضى منا تغيير كثير من عاداتنا الإجتماعية التى تمنع حركتنا من الإنطلاق ولن يتم هذا التغيير الابالقدوة الحسنة والإرشاد الهادف . ان المسئولية كبيرة ولابد أن يشترك فيها أبناء المجتمع كله فهى مسئولية الجميع وإن كانت تقع فى جزئها الأكبر على القدوة .



الكثافة السكانية شرط من شروط الحضارة

إن المتتبع لمسارات الحضارات السائدة والبائدة على حد سواء والدارس لنشوء هذه الحضارات وارتقائها ثم اضمحلالها وزوالها يستطيع أن يصل بسهولة الى قناعة بأن للبشر المجيدين ذى الفعالية الإجتماعية العالية والإنتاجية المثمرة الكبيرة دورا أساسيا فى صنع الحضارة وحفظها كما أن لهم أثرا ايجابيا فى انبعاثها وازدهارها كما أن مايتركه البشر ذوو الفعالية المتدنية ـ قل عددهم أم كثر ـ من أثر سلبى يبدو أكثر وضوحا فى عصور الإنحطاط التى تمر بها الحضارات .

والفعالية الإجتماعية للفرد هى قدرته على العطاء والتضحية من أجل أمته ووطنه فان زادت هذه القدرة ارتفعت مع هذه الزيادة الفعالية الإجتماعية للفرد ومن ثم للمجتمع وبلغ بذلك طموحه الحضارى . ان الفعالية الإجتماعية العالية للأمة تعتبر محور ارتكاز لنهوضها ونقطة انطلاق لتحضرها ورقيها . وتلعب الكثافة السكانية دورا أساسيا سلبا وايجابا فى تقويم الفعالية الإجتماعية للأمة لذا فان التركيز هنا سوف يكون على تنمية وزيادة الكثافة السكانية للأمة وتأثيرها على المشوار الحضارى .

وبادىء ذى بدء لابد من الإقرار بحقيقة هامة هى أن الجذوة الحضارية لاتكفى أن تكون متقدة فى نفوس مجموعة من البشر هم الرعيل الأول للحضارة المرتقبة والنفر القدوة ولكن لابد أن تكون هناك الكثافة البشرية القادرة على بناء المؤسسات الحضارية فى مستوى مؤسسات العصر التى تميز حضارات أخرى معاصرة وهذا هو العامل الهام الذى يوجب افتراض الكثافة السكانية كشرط من شروط قيام الحضارة .

فالكثافة السكانية المثلى سوف تحددها طبيعة العصر ولكنها لابد أن تقع بين قيمتين أساسيتين : قيمة صغرى وقيمة كبرى . فالقيمة الصغرى تحددها القدرة على افراز الكوادر الحضارية المختلفة المطلوبة لبناء المؤسسات كما أسلفنا . . والقيمة الكبرى هى التى يصل عندها المنحنى الحضارى الى حالة تشبع ويصبح هناك فائض بشرى لاتستطيع الادارة الحضارية ان تستوعبه فى عمليات البناء المختلفة فيصبح هذا الفائض حينئذ معوقا حضاريا لابد أن تتنبه لخطورته أجهزة الحضارة فتعدل من نفسها من أجل استيعابه الكامل .

وربما بدا لباحث عجول أن يضرب مثلا بدولة كاسرائيل .. أقامت بنيانها الحضارى بكثافة سكانية صغيرة للغاية إذا ماقورنت بكثافات سكانية كالتى تعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى روسيا . . والواقع أن هذه الدويلة هى معسكر للحضارة الغربية المعاصرة فى العالم العربى . . معسكر استجلب له كل مايعينه على البقاء امتدادا لحضارة الغرب . فالذين عاشوا منا فى الغرب رأوا بأم أعينهم أن كثيرا من أساتذة الجامعات اليهود يحتفظون لأنفسهم بمكانين فى

جامعتين : جامعة فى اسرائيل وجامعة فى أمريكا مثلا . وأنك لتجد أن هناك تكاملا وانسجاما تاما فى برامج البحوث بين المعسكر وبين عائلته الكبيرة فى الغرب .

إن اليهودى الشرقى والذى قدم من بلاد كاليمن والمغرب يفاجأ فى اسرائيل بمجتمع غربى فى كل مفاهيمه وعاداته وتطلعاته . . مما يجعل كثيرا من الطبقة المتعلمة من يهود العالم العربى يهاجرون للغرب ويرفضون الهجرة لإسرائيل . . وكما قال أحدهم وهو طبيب مصرى هاجر فى أواخر الخمسينات لأمريكا :

[ان اسرائيل بكيانها الخاص وتعدادها البسيط لايمكن أن يكون لها امتداد حضارى فى المستقبل خاصا بها وستظل جيبا من جيوب الغرب . . ولو تركت وحدها مابقيت يوما . . من أجل ذلك أفضل البقاء فى الغرب لافى جيب من جيوب الغرب]

وربما تفسر هذه المقولة شعور اليهودى الأمريكى الذى تجده على أتم الاستعداد بالتبرع وجمع الدعم المالى لإسرائيل بكل الوسائل كما أنه على استعداد تام فى أن يدافع عنها من خلال وسائل الأعلام الفعالة فى مجتمعه ويبلغ به الحماس درجة تجعله ينسى وطنه الأصلى أمريكا فينخرط فى ارتكاب أعمال جاسوسية مشينة تعرض أمنه القومى للخطر . . كل ذلك يفعله من أجل اسرائيل . . ولكن عندما تطلب منه أن يهاجر بعائلته للعيش فى اسرائيل تجده يتردد . . بل يرفض . ذاك هو واقع الحال بالنسبة لإسرائيل . ولايمكن قبولها كمثل لتبرير قيام بنيان حضارى بكثافة سكانية منخفضة .

لقد أدركت الدول الأوربية المعاصرة خطورة القيمة الصغرى للكثافة

السكانية حتى تستطيع معايشة الماردين الضخمين فى الشرق والغرب فبدأت تتخذ خطوات تكاملية فى محاولة لتجاوز هذا الشرط لكل منها . . وأصبحنا نرى تعاونا بين دول أوروبا لم يشهده أحد من قبل فى تاريخها الحديث .

ويبرز تساؤل هام هو : ماهى القيمة الصغرى للكثافة السكانية لأمة من الأمم حتى يمكنها تحقيق الحضارة المرجوة ؟

وربما يعيننا على الإجابة على هذا التساؤل واقع الحضارة الغربية وهى فى أبهى حللها متمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ففى حالة المجتمع الأمريكى تكاد القيمتان الصغرى والكبرى للكثافة السكانية أن تتطابقا حيث أن فعالية الفرد هناك هى أعلى فعالية للانسان المعاصر . .

ونحن ندرك أنه كلما زادت فعالية الفرد كلما قل الفارق بين القيمة الصغرى والقيمة الكبرى حيث يتلاشى الفائض البشرى مع زيادة الفعالية . وأنه لمن الغريب أن نشاهد فى مجتمعات نامية من ينادى باصلاح الأمور عن طريق تحديد النسل بينما الأجدى هو زيادة الفعالية الإجتماعية للفرد . إن مجتمعا ما يئن تحت فيض بشرى معوق يمكنه أن يشكو من قلة الرجال إذا ماتبع برنامجا حضاريا يزيد من عدد أفراده ويدفعهم فى طريق العمل الحضارى .

اننا نستطيع أن نشاهد هذه الحقيقة فى مجتمعين معاصرين : المجتمع الهندى والمجتمع الأمريكى فلأن فعالية الإنسان الهندى منخفضة فان مجتمعه يشكو من فائض بشرى معوق بينما يتلقف المجتمع الأمريكى زبدة هذا الفيض البشرى الهندى فى عمليات هجرة المتعلمين الهنود للولايات المتحدة الأمريكية وربما يظن

البعض أن هذا يحدث لكثافة الهند السكانية الضخمة وقد يبدو هذا الظن صحيحا فى ظاهره ولكن حقيقة الأمر غير ذلك فانخفاض الفعالية الاجتماعية لإنسان ذاك المجتمع هى السبب المباشر ولكى نزيد الأمر توضيحا دعونا نعرّف الطاقة الحضارية لأمة من الأمم بمعادلة رياضية مبسطة فنقول أن :

الطاقة الحضارية = عدد السكان × متوسط الفعالية الإجتماعية

وبتطبيق هذه المعادلة على الأمة الهندية والأمة الأمريكية نجد أن الطاقة الحضارية لأمريكا أكبر بكثير من الطاقة الحضارية للهند رغم أن سكان الهند يقارب ثلاثة أضعاف سكان أمريكا والسبب يكمن فى انخفاض فعالية الإنسان الهندى وارتفاع فعالية الفرد الأمريكى .

ان استطرادنا فى الحديث عن علاقة الفائض البشرى بالفعالية الاجتماعية والطاقة الحضارية بالغ الأهمية بالنسبة لفهمنا لكثير من الأمور التى تتعلق بالطاقة البشرية فى بلادنا عند تقديرنا للقيمة الصغرى للكثافة السكانية القادرة على افراز الكوادر الحضارية .

ان الدور الذى لعبته الكثافة السكانية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى تحقيق أكبر فعالية اجتماعية للإنسان المعاصر يؤكد أهمية الكثافة السكانية الفعالة فى قيام الحضارات وبقائها وينبغى علينا ونحن نتأهب لإقامة حضارة معاصرة أن يكون لنا كثافة سكانية كافية لتنمية وزيادة الفعالية الاجتماعية مما يجعلنا ندعو بموضوعية الى زيادة النسل والتشجيع عليه بشتى الوسائل والطرق المشروعة وسوف نتطرق فى الفصل التالى الى هذا الموضوع بشىء من الايضاح .





ان الطاقة الحضارية لأمة من الأمم - بالتعريف الذى طرحناه فى الصفحات الماضية - تستند على عاملين أساسيين هما الحجم الأمثل للسكان وارتفاع فعاليتهم الإجتماعية أى قدرتهم على العطاء والتضحية من أجل الوطن ولايمكن فصل أى من العاملين عن الآخر وان حدث ذلك فإن انخفاض الطاقة الحضارية يصبح أمرا مؤكدا.

وانخفاض الطاقة الحضارية للأمة يعنى أول مايعنى صراع هذه الأمة مع البقاء حيث بقاؤها مرهون بما تستطيع تحقيقه من تجميع وتطوير لقدرات أبنائها لتصل بهم الى الحد الأدنى من الفعالية المثمرة أما ان اختارت الأمة مسار التحضر وطريق النهضة فلن تتمكن من بدء مشوارها على هذا المسار ولن تستطيع السير على ذلك الطريق الا بالقيمة الصغرى من الكثافة السكانية التى تحددها القدرة على افراز الكوادر الحضارية المطلوبة لبناء المؤسسات وتحقيق المنجزات كما ان الارتقاء بفعالية أفراد المجتمع - كل فى حقله - يصبح شرطا أساسيا من شروط النهضة ومطلبا رئيسيا من مطالب الحضارة .

والطاقة البشرية قد تعنى الطاقة الحضارية بمفهومها الشامل اذا أخذنا فى الاعتبار الكم والكيف معا لأن التفريط فى النوعية الجيدة على حساب الكثرة العددية يصبح غثاء كغثاء السيل ويجعل الفائض البشرى عبئا على الأمة تحتار فى تأمين غذائه وتوفير الرعاية له وتقديم الخدمات اللازمة لبقائه دون عائد يذكر أو مردود ينفع لتدنى قدرة هذا الفائض البشرى على العطاء والتضحية .

ولعل فى المثال الذى أوردناه عن الهند والولايات المتحدة الأمريكية والمقارنة التى عقدناها بين الطاقة الحضارية لكل من الامة الهندية والأمة الأمريكية ما يؤكد ان كلا من العاملين مهمان فى التعرف على كثير من المتغيرات التى تحكم القيمة الصغرى للكثافة السكانية فى بلدنا وقدرتها على تتنمية الكوادر الوطنية المؤهلة والضرورية لتشييد مؤسسات حضارية تضاهى مثيلاتها فى العصر الحديث والإشراف على آدائها بفاعلية كبيرة .

وعندما نتصدى للدعوة الى زيادة النسل وتشجيعه بشتى الطرق والوسائل المشروعة فى مجتمع كمجتمعنا يتطلع الى غد مشرق بالأمل ومستقبل مستبشر بالتفاؤل فأننا ننطلق فى دعوتنا هذه من قناعة ذاتية بأن هناك ضرورة الى ان ترتفع الكثافة السكانية الى القيمة التى تجعل المجتمع يعتمد على المواطنين من ابنائه فى جميع قطاعات الحياه حتى يقل السيل البشرى المتدفق من شعوب الارض القادم من خارج الحدود الى بلدنا بحجة العمل ومايحمل معه من ثقافات غريبة عنا وعادات دخيلة علينا .

ان دعوتنا الى تشجيع زيادة النسل دعوة واقعية تستند الى مبررات موضوعية من أهمها وعلى رأسها ان النمو السكانى ذى الفعالية الإجتماعية العالية امر حيوى لتفجير طاقات الأمة وتحقيق امكانها الحضارى كما أن بقاء المؤسسات الحضارية القائمة فعلا وما سوف يشيد منها مستقبلا مرهون بوجود العناصر البشرية الكافية والمؤهلة للاستفادة من منجزاتها وتطوير آدائها بالتفاعل البناء والمردود الجيد ومالدينا من سعة مكانية صالحة للحياة وما أنعم الله به علينا من وافر النعمة وظلال الأمن وفى الطمأنينة كلها حوافز جيدة وعوامل مساعدة للتكاثر البشرى .



وعالمنا المعاصر ملىء بالأمثلة الواقعية عن التكاثر البشرى ودوره الحضارى .

دعونا نتأمل من خلال أمثلة معاصرة كيف عالجت دول مختلفة مسألة الكثافة السكانية . ونبدأ بالهند لنجد أن خصوم انديرا غاندى السياسيين اتهموها يوم كانت تحكم الهند بأنها وافقت على برنامج لتعقيم الرجال ـ يعنى اسقاط مقدرتهم على الإخصاب ـ فكانت النتيجة اسقاط انديرا غاندى من سدة الحكم ، وقد استبان لنا أمر المعالجة الخاطئة للكثرة البشرية فى ذلك البلد عندما تعرضنا بالحساب للطاقة الحضارية للمجتمع الهندى وأوضحنا السبب الرئيسى والمباشر لانخفاضها وهو عدم فعالية الفرد فى ذاك المجتمع الفعالية المطلوبة لإقامة حضارة .

وفى سنغافورة ـ الدولة المعاصرة المثلى فى منطقة جنوب شرق اسيا ـ تفرض الحكومة ضريبة تصاعدية على الأب كلما زاد عدد أطفاله ... لم يمنعوه من الانجاب قسرا ولكن ربطوا الانجاب بمقدرة الأب الإقتصادية على أن يوفر لمن ينجب من الأطفال المستوى المعيشى اللائق وكان عذرهم ـ كما يبدو ـ ان ليس لديهم سعة مكانية تكفى لاستيعاب فائض بشرى كبير لأن المعروف أن سنغافورة ليست سوى جزيرة لاتزيد مساحتها عن عشرين كيلومترا فى أربعين كيلومترا والزائر لهذه البقعة الصلبة فى وسط البحر سوف يلحظ ناطحات السحاب كرمز للتوسع الرأسى للاسكان تعبيرا عن عجزهم فى التوسع الأفقى حتى أنهم بدأوا يزيلون المقابر القديمة غير المستعملة كما حدثنى صديق من مواطنى هذه الجزيرة ويسوونها لاقامة أحياء سكنية كاملة ولديهم أسلوب فريد فى تنفيذ برامج الاسكان الجماعى أرجو ان نتعرف عليه لعلنا نجد فيه مايفيد ...

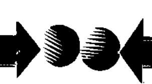
اذن مشكلتهم فى سنغافورة هى مشكلـة أرض ... ليس عندهـم الأرض الكافية لاقامة أحياء سكنية بجميع مستلزماتها من أسواق ومستشفيات وأماكن ترفيه الخ ... ومن المهم أن ندرك ان الفعالية الاجتماعية للفرد السنغافورى عالية وقد انعكست فى أن أصبح لهذه الأمة قدرة حضارية عظيمة فاقت مالدى الكثير من الأمم المجاورة لها فى نفس المنطقة ولذا فان فقدهم للكثرة العددية فى البشر عوض بارتفاع فعالية الاداء والابداع .

وفى فرنسا وألمانيا حيث تعيش الحضارة الغربية فى جميع مجالاتهـا بأحلى حللها نجد أنهم يعملون على تشجيع زيادة النسل بأساليب حضارية حرصوا من خلالها على تخفيف العبء الإقتصادى على رب الأسرة وقد يتساءل المرء : ماذا تريد هاتان الدولتان من برنامج زيادة النسل ؟ ! لقد أجبنا على هذا السؤال عندما قلنا أن الدول الأوربية المعاصرة أدركت خطورة تحقيق القيمة الصغرى للكثافة السكانية حتى تستطيع معا ـة الماردين الضخمين فى الشرق والغرب فبدأت تتخذ خطوات جادة فى محاولة لتجاوز القيمة الصغرى للكثرة البشرية لسكان أوربا .

هذه أمثلة معاصرة نعيشها مع العالم النامى والعالم المتقدم أوردناها لنؤكد أهمية التزايد العددى للسكان مع ضمان ارتفاع فعاليتهم الإجتماعية للحد الذى يجعل مردودهم الحضارى كبيرا وعائدهم فى العمل المنتج مبدعا . ولنؤكد أيضا أن زيادة النسل فى وطننا سوف توسع قاعدة النجاح للبرامج المقترحة أو المنفذة للارتفاع بمستوى العطاء للفرد السعودى .

وصدق الرسول الملهم والقائد العظيم محمد «ﷺ» القائل : (تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة)

أو كما قال عليه السلام .....



تأثير المكان والبيئة على الإبداع الحضاري

ان المكان الذى تعيش عليه امة من الامم بجغرافيته وما يكمن فى أعماقه وينمو فوق سطحه يؤثر تأثيرا بالغا فى قيام حضارة وبقاء أخرى ... بل وقد يؤثر كذلك على المزاج الإجتماعى ويطبع تلك الحضارة بخصائص تميزها عن حضارات أخرى نشأت فى مكان اخر ويعطيها صفات ويمنحها مميزات .

وكما أن للبيئة والمكان تأثيرات ايجابية على الإنسان تجعله يبدع بنبل ويعطى باخلاص فان لهما تأثيرات سلبية على الإنسان يجب ان تدرس بعناية من قبل الذين يرقبون العمليات الحضارية حتى يمكنهم مواجهتها والتغلب عليها فى نفس الانسان .

اذ أننا لو نظرنا الى الناحية الجمالية البحتة فى البيئة وتأثيرها على الانسان فسوف نبصر استعداده للتجاوب مع البيئة المحيطة به ورؤية الأشياء حوله بمنظار جمالى خاص به وبمن يعيشون معه فى نفس البيئة ... أى أنه يمكن للبيئة والفرد أن يتفاعلا فينتج عن هذا التفاعل تصور جمالى خاص بهما وحدهما ... اننا نكاد نلمح هذه المعانى مع فارق التشبيه عندما يصف الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل فى سورة الرحمن نعيم أهل الجنة فيقول (١) :

« ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ ذواتا أفنان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ فيهما عينان تجريان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ فيهما من كل فاكهة زوجان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ متكئين على فرش

١ ـ سورة الرحمن الآيات ـ ٤٦ ـ ٧٦

بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ـ فبأى الاء ربكما تكذبـان ـ فيهـن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ ومن دونهما جنتان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ مدهامتان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ فيهما عينان نضاختان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ فيهما فاكهة ونخل ورمان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ فيهن خيرات حسان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ حور مقصورات فى الخيام ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ـ فبأى الاء ربكما تكذبان ـ متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)

(صدق الله العظيم)

أى أن الضمير الجمالى الذى ينبثق من المكان .. سوف تكون له خصائص تتأثر بهذا المكان وما يحيط به من بيئة وليس هناك منظار جمالى واحد وانما هناك مناظير جمالية عديدة .. كل منظار منها مرتبط بثنائى بعينه : انسان ومكان .

ويعمل الضمير الجمالى عند انسان معين مع مؤثرات أخرى على ربط هذا الإنسان بالمكان الذى نشأ به وترعرع فيه .. حيث يصبح حنينه لهذا المكان هو التعبير الظاهر لهذا الضمير الجمالى ..

وهكذا كان رسول الله ﷺ يناجى مكة فى حديث مؤثر حزين :
(والله انك لخير ارض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت) .

ومن هنا ندرك ايضا ان هذا الضمير الجمالى يلعب دورا فى بقاء الإنسان بين قومه خادما لهم ... بانيا لحضارتهم وان شق عليه ظلمهم وتخلفهم ... انه هو ذاك

الضميرالذى يجعل الإنسان مرتبطا بالأرض التى نبت فيها وبالسماء التى إحتمى بها . أنه هوذلك الحس الذى يجعل الإنسان يردد بوفاء قول الشاعر :

وطنـــى وان شغلـــت بالخلـــد عنه
نازعتنـــى اليه فى الخلـــد نفسى

وهو نفس الاحساس الذى يجب ان يجعله يتبع هذا القول بعمل جاد ومضن من اجل الوطن حتى يستحق بجدارة نعمة العيش فى ظله .

واذا كانت المناظير الجمالية عند الإنسان تختلف باختلاف المكان والبيئة المحيطة به فانها ـ أى المناظير تظل مع هذا تحث الإنسان على البناء الحضارى وتدفعه الى العطاء والابداع فنجد مثلا أن الإنسان الذى بنى حضارة فى جنوب مصر والإنسان الذى بنى أخرى فى شمال أوروبا وأمريكا يختلف ضميرهما الجمالى اختلافا مبينا مما يرجح تعادل الحث الحضارى عندكل المناظيرالجمالية ... المهم اذا هو وجود هذا الضمير الجمالى الناتج عن تفاعل الإنسان مع المكان .. أى مكان وأى انسان .. ولن يتم هذا التفاعل الا بوجود عامل مساعد هو العقيدة الموحية .

ان القرآن الكريم يستحث همة الإنسان وطموحاته الفكرية الإبداعية ليكون هذا الضمير الجمالى فيصبح هذا بدوره أكبر معين على الايمان والتصديق بوجود الله تعالى وقدرته .. انظر الى هذه الآيات من محكم التنزيل (١) :

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ـ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ـ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب

(١) سوره ق (الايات ٦ ـ ١١)

الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد ـ رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾

(صدق الله العظيم)

وقوله تعالى (١) :

﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ـ يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ـ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ـ ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

(صدق الله العظيم)

وقوله تعالى (٢) :

﴿ ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ـ ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ﴾ .

(صدق الله العظيم)

وقوله تعالى (٣) :

﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ـ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر

(١) سورة النور (الآيات ٤٣ ـ ٤٥)
(٢) سورة الفرقان (الآيات ٤٥ ـ ٤٦)
(٣) سورة الملك (الآيات ٣ ـ ٥)

خاسئا وهو حسير ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ .

(صدق الله العظيم)

ان الكون حولنا كون صديق .. يسبح كما نسبح .. ويخفق كما تخفق قلوبنا .. حتى الحجارة . يقول الحق تبارك وتعالى (١) :

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

(صدق الله العظيم)

فالضمير الجمالى اذا عند المسلم هو ضمير فريد بين كل الضمائر الجمالية ... وما أسهل تكوينه فى حس المسلم ليتفاعل مع ما حوله من ظواهر الكون وسننه . ان تكوين الضمير الجمالى عند المسلم أمر فى غاية الأهمية لعملية الميلاد الحضارى حيث يقوم بعملية تثبيت العقيدة وتقوم العقيدة بدورها فى تهذيبه وتنقيته حتى يصبح مدا دائما لعمليات الإبداع الحضارى .

ويمكن ايضا فى غياب شروط موضوعية فى العقيدة السائدة فى مجتمع ما أن لا يحدث أى تفاعل بين الإنسان والمكان ولا يتكون حينئذ أى ضمير جمالى عند هذا الإنسان ويعيش فى غيبوبة على هامش المكان والزمان .

فليست كل العقائد قادرة على احداث هذا التفاعل المرجو بين الانسان

---

(١) سورة البقرة (الآية ٧٤)

والمكان .. كما ان طبيعة التفاعل تختلف بطبيعة العقائد التى احدثته .. فالرجل

الذى يؤمن أن من قطع سدرة أو شجرة فى فلاه يستظل بها عباد الله فهو آثم لا يمكن ان يتحول فى طور حضارى آخر ليحـرق ملايين الأطنـان من القمـح لأسباب اقتصادية بحتة بينما تموت ألوف البشر من الجوع .

لقد قامت معظم الحضارات فى القديم حول الأنهار وفى مناخ معتدل .. وكان ذلك لازما للتفاعل الحضارى حيث لم يكن يملك انسان تلك العصور وسائل شتى لترويض البيئة كما يملك الإنسان اليوم .. فكان لا بد له من بيئة مروضة يضيف هو اليها ما يمكنه من التفاعل الحضارى .. ومع مرور الزمن أخذ انسان العصر يمتلك وسائل جديدة للتفاهم مع المكان فامتدت بذلك رقعة ابداعه الحضارى .. وغدا سوف يمتد التفاعل بين الإنسان والمحيطات وما تحت الأرض وفى الفضاء الواسع العريض .. ويضرب الإنسان المتفاعل فى أجواز الفضاء وأعماق الأرض .. والقرآن يبشره أنه مدرك ذلك (١) :

﴿ يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطـار السمـوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ﴾ .

(صدق الله العظيم)

ان هذا يضع أمامنا شرطا مكانيا لا بد من تحقيقه ، اذ لا بد لأمة تريد أن تقيم حضارة أن تصل بحجم تفاعلها مع المكان الى مستوى العصر ، اى الى مستوى الحضارات المعاصرة . فاذا كان انسان الحضارة المعاصرة قد استطاع

---

(١) سورة الرحمن (الآية ٣٣)

أن يصل الى أعماق الأرض طلبا للرزق واستخدم الفضاء لمواصلاته واتصالاته وأصبحت المحيطات بين يديه يخرج منها رزقا حلالا ويعبرها ممهدة ويعيش فى اعماقها ميسرة .. اذا كان هذا هو حجم التفاعل مع المكان فان أى أمة تريد ان تبنى حضارة لا بد لها ان تصل بتفاعل انسانها مع المكان لمثل هذه القدرات المعاصرة .

ان ازدياد حجم التفاعل بين الإنسان والمكان يعنى مزيدا من الكنوز التى تمكن الإنسان من العيش الكريم وتفتح له بابا كلما أوصدت الأيام بابا .. فاذا ضاقت به الزراعة فى الأرض وسعه البحر فأكل من لحومه ونباتاته .. واذا لم يسعفه ظاهر الأرض بالوقود لجأ الى باطنها طلبا له وسعيا وراءه ..

فاذا كان الإنسان قادرا على التفاعل الكامل مع البيئة المحيطة به بمستوى العصر ووسائله المتطورة فان هذا سوف يحدد حجما مناسبا للمكان الذى يعيش فيه حتى يمكنه ليس فقط من البقاء الحضارى بل تطوره ونموه .

فمثلا اذا كان هذا الإنسان يعرف أحدث الوسائل لاستخراج البترول من باطن الأرض فهو فى هذا قادر على التفاعل الكامل مع تلك الأرض فى هذا المضمار .. ولكن هذا التفاعل الكامل لا معنى له ان لم يملك الأرض التى تحتها هذا البترول بكمية كافية لبقائه وتطوره .

ذلك اذا هو الشرط المكانى من وجهة نظر اقتصادية : أن يكون حجم المكان كافيا لعملية البقاء والنمو فى حالة التفاعل الكامل بمستوى العصر .

وللزمن تأثيره على نشوء الحضارة

عندما يتاح لمجموعة حضارية توفر العقيدة السليمة الموحية والكثافة السكانية المرجوة والموارد الطبيعية والاقتصادية المناسبة والإمتداد المكانى المطلوب فانها فى مرحلة البدء تواجه بالشرط الزمنى الذى يتمثل فى فترة زمنية تحتاجها الأمة لتبنى لنفسها مؤسسات على مستوى الحضارات المعاصرة .

ان على الامة أن تزيد معدل نموها حتى تغلق الفجوة بينها وبين الحضارات المعاصرة .. تزيده بالنسبة لمعدل النمو الزمنى فى الحضارات المعاصرة حتى تستطيع اللحاق بها .. ولة انها نمت بنفس المعدل الذى تنمو به الحضارة المعاصرة فستظل هناك دائما فجوة بينهما . ان معدلات النمو التى سننمو بها تتغير بتغير مراحل العملية الحضارية من مرحلة التكديس الى مرحلة الفهم والإستيعاب .. ثم مرحلة الإبداع .

مرحلة التكديس

تتميز مرحلة التكديس الحضارى بأنها ذات معدل بطىء للنمو يصل الى قيمة ظاهرية تبدو العملية التنموية معها وكأنها لا تتحرك مما يسبب ضغوطا نفسية

للمستعجلين قطف الثمار والذين يرون أن الفجوة تزيغ ولا تنقص فيستسلمون لليأس وربما لاذوا بالفرار ليعيشوا فى أمة تعيش مرحلة متقدمة ..

وعلى الأمة أن تدرك أن بطء النمو فك هذه المرحلة أمر طبيعى جدا فهى مرحلة غرس لا جنى يجب أن تصبر عليها وتتواصى بهذا الصبر حتى يثبت الرجال وراء القدوة الصابرة الثابتة فى واقعها .. غير المستعجلة ثمار جهادها .. المتمثلة دائما بالقول المأثور :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا .... واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

فاذا كان هذا الأثر هو شعار مرحلة التكديس فإن الأمة تستطيع أن تمر بهذه المرحلة من غير ضغوط لأقسية مدمرة ومعوقة لعمليات النمو ذاتها .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن الضغط النفسى فى مرحلة التكديس من أخطر الأمراض الحضارية التى تصيب معظم شعوب ما يسمى بالعالم الثالث .. حيث يظن مثقفو هذه الشعوب وهم يرون الفجوة الزمانية كأنما تزداد اتساعا أن لا أمل فى اللحاق ويفقدون الثقة فى انفسهم وتضطرب خطاهم على طريق الحضارة ويفرون من الواجب ليبحثوا لأنفسهم عن ملجأ حضارى خدعهم بريقه ليتركوا من خلفهم شعوبا تجد نفسها تزداد تخلفا بفرارهم عنها ... فكلما أعدت صفوة من ابنائها لعمليات البناء فقدتهم .. فتخسر المال وتخسر الزمن بخسارة الرجال .

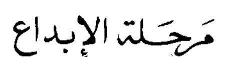
لذا فاننا نود أن نؤكد مرة اخرى أن معدل النمو البطىء فى مرحلة التكديس لا يعنى ضياع الجهد وانما هو (اهد مكنون) أو قل أنها طاقة وضع وليست طاقة

حركة .. يمكن للأمة استردادها كطاقة حركة فى الخطوات التالية لمرحلة التكديس .

مَرحَلة الاستيعاب

اذا تجاوزت الأمة مرحلة التكديس حيث تكون قد كدست فى وعائها الاجتماعى طاقات علمية وتقنية وروحية وشحذت بذلك الفعالية الاجتماعية للإنسان شحذا كبيرا .. اذا انتهت من هذه المرحلة التى تتميز بالبطء فإنها تقبل بذلك على مرحلة جديدة تتميز بسرعة للنمو أكبر هى مرحلة الفهم والاستيعاب . ففى هذه المرحلة الجديدة تبدأ الأمة فى فهم العلاقات العضوية بين الطاقات المكدسة فى وعائها الاجتماعى .. فتكشف لنفسها وبنفسها ما تم اكتشافه فى أمم أخرى لتصل الى الجوهر بين الركام المكدس .. ويعطيها ذلك درات جديدة .

حيث سيكون انطلاقها من الجوهر لا من الركام المكدس وحيث تكون الأمة قد تعرفت على قوانين التحضر لا على نتائجه فحسب .. فتصبح عندها القدرة على الخطو بثقة فى ميدان الحضارة وهى غير منبهرة بالركام المكدس .. وإنما عاشقة للجوهر متفاعلة معه .



قلنا أن الضغوط النفسية تبدأ فى الانقشاع عن ضمير الأمة فى مرحلة الإستيعاب والفهم حيث تجد الأمة نفسها وجها لوجه مع الينابيع الأساسية للإبداع الإنسانى المعاصر .. وتسرع حينئذ مسيرتها رويدا رويدا .. فكلما حققت نصرا زادها ذلك ثقة ورسوخا .. فاذا واصلت العمل مدركة لكل مقومات ومتطلبات قيام الحضارة فانها ستصل لا محالة الى مرحلة الإبداع حيث يصبح معدل نموها أسيا متزايدا ونعنى بالنمو الأسى هنا أن يحدث تطور سريع ومبدع فى فترة زمنية قصيرة نسبيا اذا قيست بمقدار التطور والنمو الذى حدث خلالها ..

والمتتبع لمسار الحضارة الغربية المعاصرة يلحظ أن فترة الإبداع المادى فى هذه الحضارة تميزت بأن صاحب نموها الأسى المتزايد تغير أسى آخر حدث فى العلاقات الإجتماعية والتصورات الكلية للمجتمع .. حدث هذا التغيير بسرعة مذهلة فاقت سرعة فكر قادة هذه الحضارة وعلمائها .. واليوم تعيد الحضارة الغربية حساباتها لترى أين كان الخطأ فى وجهتها .. بل لقد بدأ ينظر كل انسان اليوم فى الغرب فى العلاقات الأساسية التى تربط ما حدث من تقدم فى العلوم بالمجتمع وما يحمل من عقائد وقيم . وأصبحنا نرى أقساما علمية جديدة فى معظم جامعات امريكا تدرس التفاعل بين التقدم العلمى والتكنولوجى وبين المجتمع والدين .. فى محاولة منهم لاستدراك الآثار الجانبية لهذا التقدم الأسى فى الحياة المادية على المجتمع وقيمه .

ان الآثار الجانبية للتقدم المادى سوف تؤثر على منحنى التقدم وتبطىء من خطاه .. حيث اصبح هذا التقدم يهدد حياة الإنسان ويفسد عليه بيئته التى

يعيش فيها ولا بد من مراجعة كاملة لكل البرامج الحضارية لتأخذ فى حسبانها الآثار السيئة للتقدم العلمى والتكنولوجى .

اننا هنا لا نقف موقف البلهاء الذين يرون آثار الحضارة الغربية السيئة أو يسمعون عنها فيتنبأون متعالين بهلاك هذه الحضارة وحتمية فنائها .. ان الآثار السيئة للحضارة الغربية هى آثار طبيعية برزت كنتيجة لانحياز تلك الحضارة الى الجانب المادى وابتعادها عن القيم الروحية التى ما زالت تتواجد على استحياء فى المجتمع الغربى .. ووجود هذه الآثار السيئة فى الحضارة الغربية لا يمنعنا من الإعتراف بأن هذه الحضارة تزخر بالحياة قوية فتية .. وحسب مفكروها فخرا أنهم هم الذين اكتشفوا آثارها السيئة وبدأوا يحاولون تداركها لحماية المجتمع من الآثار االسيئة للتقدم المادى .

ونحن هنا فى هذا الصدد يهمنا فى المقام الأول أن نأخذ العبرة بغيرنا فى محاولتنا الجادة أن نتبين المنحنى الزمنى للحضارة ومعدل تغيره .. حيث اتضح لنا أن المعدل الأسى الذى بدأ فى مرحلة الإبداع سوف يتناقص حتى يتم التوازن بين التقدم المادى والتخريب البيئى .. ونحن نلاحظ حدوث هذا الآن فى الغرب .. حيث يحاول الغرب المتقدم علميا وتكنولوجيا أن يدرس كيفية ايجاد هذا التوازن بين التقدم والبيئة .. وفى هذا تلعب القيم الأساسية للإنسان دورا هاما فى ترشيد تفاعل الإنسان مع البيئة .. وتبرز القضية بشكل آخر فى مجال الأخلاق والقيم وتتحول قضية الصراع بين التقدم المادى والبيئة الى قضية الصراع بين الترف والتقشف .. فاذا استطاع الإنسان أن يصل الى توازن بين هذين الطرفين فإن التقدم المادى لن يؤذيه بل سوف يعينه فى دروب حياته المختلفة .

وبالنسبة لنا ونحن نحاول أن نتبصر بالشروط الزمانية التى يتصف به المنحنى الحضارى لمسيرتنا لا بد لنا اذا أردنا أن نسرع خطانا فى دروب

حضارتنا المرتقبة أن نستفيد من الدروس والعبر التى لقيتها الحضارة الغربية المعاصرة ولعل أبلغ درس لنا فى كل المراحل هو أن يوجد الإنسان توازنا بين الترف والتقشف ولعل هذا بعض ما عنته الآية الكريمة (١) :

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ .

(صدق الله العظيم)

ان ايجاد هذا التوازن يركز كل الامكانيات المتاحة لتعجيل خطى الإنسان نحو حضارته .. حيث لا يصبح الترف والرفاهية هما همه المقعد المقيم .. ولكن تبقى دائما عمارة الأرض فى عبادة الله هى هدفه القدسى . ولا يضيره بعد ذلك زادت الفجوة فى مراحل أو قلت ما دام قد بذل كل ما يستطيع من جهد وأعطى كل ما يقدر عليه من بذل .. وأنه لمغلق فجوته الحضارية بإذن الله . وصدق الحق تبارك وتعالى (١) :

﴿ وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ .

(صدق الله العظيم)

---

(١) سورة الإسراء (الآية ٢٩)

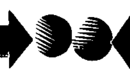
(١) سورة الجن (الآية ١٦)

أثر النموذج البشري في المسيرة الحضارية بايجاز ..

لعل من الركائز الأساسية التى تضمن مسيرة الحضارة لأمتنا وتقوى من مناعتها ضد أمراض المواجهة الحضارية وتبعاتها أن تعود الأمة الى الصفحات المشرقة من تراثها تستقى منه العظة وتستلهم منه العزيمة . ولكى يكون مشوار العودة واثق الخطى عميق المردود يجب على الأمة أن تكون لديها المقدرة على ايجاد دالة تعالق وتطابق **Correlation function** بين فترات زمنية وأحداثها فى تراثها وتاريخها وبين ما تعيشه وسوف تعيشه من مراحل حضارية . بمعنى أن نستقرىء من تاريخنا ما يعين على تفهم حاضرنا بأحداثه ومنجزاته ومستقبلنا بتطلعاته وآماله .

واذا كان النموذج البشرى يلعب دورا هاما وأساسيا فى نشوء الحضارات وازدهارها فان البشر أيضا تقع على كاهلهم مسئولية اندثار وزوال تلك الحضارات .

والنماذج البشرية فى تاريخ الحضارة الاسلامية قامت بذات الدور وتحملت نفس العبء على مر العصور . ولا يملك المرء الا ان يقف باعجاب وتقدير أمام نماذج بشرية مسلمة حفل بها تاريخنا أعطت للأمة أمثلة عملية فى عمق الولاء للدين وصدق الإخلاص فى العمل ونبل العطاء والتضحية ... ما أجدرنا أن نتذكرها فى طريق عودتنا الإيجابية الى تراثنا لنوجد دالة التعالق والتطابق تلك .



ما أعظمها من نماذج وما أقدرهم من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم .

دعونا نقلب فى صفحات ناصعة من تراث أمتنا لنتعرف على بعض من النماذج البشرية من خلال المواقف المشرفة التى وقفها هؤلاء من اجل عقيدتهم وأمتهم ففاضوا عطاء وتضحية فأصبحوا مشاعل حضارة ورواد قيم .. ما أجدرنا أن نتمثل هذه النماذج ونرقى الى تلك القمم ونحن نرتوى من نفس النبع الصافى الذى ارتوى منه هؤلاء الرجال وندين لنفس العقيدة الموحية التى آمن بها أولئك النفر القدوة .. ما أجدرنا أن نتلمس سبلهم فى الحياة ونحن نؤمن بنفس القيم التى اعتنقوها ونعتنق ذات المبادىء التى ضحوا من اجلها .





سلمان الفارسي .. شاهد ميلاد حضارة ..

حرى بنا ونحن نسير على طريق الهدى والخير الى أهدافنا فى التقدم وفى بناء الحضارة أن نتصفح كتب السيرة لنستروح عبيق النبوة ونستنشق عطر الرسالة ونستشف ذرى التضحية ونستعرض أمثلة الايثار والفداء فى واحد من صحابة النبى العظيم والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لنتعرف على نموذج بشرى من نماذج الحضارة الاسلامية ورمز من رموزها .

نتعرف على سلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه ذلك الصحابى الجليل الورع التقى الأبى المؤمن الملتزم الذى ارتقى الى درجة بيت النبوة عندما تنازعته فئات المهاجرين والأنصار فى غزوة الخندق كل يدعى أنه منهم .. فيحسم رسول الهدى ونبى الرحمة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الموقف ويقول :

« سلمان منا آل البيت »

ويأتى تخصيص الحديث عن سلمان الفارسى رضى الله عنه كواحد من صحابة النبى عليه الصلاة والسلام وكلهم مشاعل نور وقمم حضارة لأسباب عديدة لعل من أهمها معاناته رضوان الله عليه فى البحث عن الحقيقة وجهاده من أجل الإيمان الصادق واليقين الواعى ثم عدم انبهاره بحضارة أجداده العريقة وتركه اياها وانضوائه تحت ظلال الحق . وسبب واحد من هذه الأسباب يكفى لكى نتابع مع هذا الرجل المصداق ومضات محاولته الناجحة للوصول الى الحقيقة والصدق واليقين لنجد فى رحلته كثيرا من المعانى والمواقف علنا نترسمها ونرنو لبلوغها ونحن نجاهد بأمل ونعمل بطموح على تحقيق أهدافنا الحضارية .

دعونا نبدأ الرحلة ...

ولد ذلك الفارسى المصمن وترعرع فى حضن حضارة من أعظم الحضارات التى عرفها التاريخ قبل الاسلام .. حضارة الفرس حيث عاش عيشة فيها من الترف والنعمة ورغد العيش ما لا يوصف ومن نعم الدنيا ومسراتها وملذاتها ما يعجز المرء أن يجد مثلها فى تلك العصور فى جزيرة العرب .

بدأ هذا الانسان ابن الحضارة الفارسية صراعه مع الحقيقة باحثا عنها فى دين المجوس فاعتنقه ثم لما لم يجد فيه ما يريح نفسه ويعيد الطمأنينة الى قلبه ذهب الى النصرانية فى أرض الشام يلتمس الحقيقة هروبا من المجوسية فى أرض فارس دين آبائه وأجداده .... ذهب الى النصرانية دين المسيح عليه السلام لعله يجد فيها بغيته فخدم قساوستها ةالتصق بهم وتعرف على دينهم واعتنقه لكن نفسه لم تهدأ وقلبه لم يطمئن وضاقت به الدنيا بما رحبت عندما لم يجد فى المسيحية غايته مثلما لم يجد فى المجوسية بغيته من قبل .

.... وشاءت ارادة الله أن يستبين ذلك الشاب الفارسى طريق الهدى فأعطاه قسيس كان يقوم على خدمته دلائل الخيرات وعلامات البشرى عندما أنبأه بأن نبيا من بنى هاشم على ملة ابراهيم الحنيف يبعث الى الدنيا فتشرق وعلى الأرض فتستبشر ويتحول الظلام الى نور وينقلب الظلم الى عدل ....

وينطلق الفتى الى المدينة بعد أن أصبح رقيقا من الأرقاء يباع ويشترى بفعل الظلم الذى ساد حياة العرب فى جزء من الجزيرة قبل أن تدخل الاسلام . وعاش حياة كلها شظف ومعاناة وخشونة وهو ابن النعمة وربيت الحضارة .... عاشها عبدا ليهودى من بنى قريظة اشتراه لخدمته . فذهب الى المدينة يبحث عن الحقيقة ويتطلع الى الحق حيث وجد بغيته وتحققت غايته وتعرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء وأسلم على يديه بعد أن تأكد من أنه لا يأكل

الصدقة ويقبل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوة اذ كانت تلك دلائل الخيرات وعلامات البشرى التى أعطاها له القسيس عندما بشره بانبثاق نور الحق ودله على طريق الخير ليبدأ المشوار .

وأسلم سلمان رضى الله عنه وترك خلفه باسلامه حضارة زاخرة بمباهج الحياة غنية ببهرجها كانت رمزا للحضارات فى عصره .... ترك تلك الحضارة وولى وجهه حيث هداية الله .. حيث البشرى . ومنعه الرق من أن يشهد بدرا وأحدا ولكنه ساهم بفعالية المؤمن وبإيمان فعال فيما تلى ذلك من غزوات ومواقف .

ساهم مع المسلمين يوم غزوة الأحزاب وألهمه الحق سبحانه وتعالى فكرة حفر الخندق حول جزء من حدود المدينة ليسد به ثغرة كان يمكن أن ينفذ منها جيش قريش وغطفان بقيادة أبى سفيان وعيينه بن حصن .... ذلك الجيش العرمرم الذى قدم من مكة ليثأر لبدر وأحد . ولم تكن العرب تعرف مثل هذه الحيلة من حيل الحرب حتى أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام صحابته بحفر الخندق أخذا بمشورة سلمان الفارسى رضى الله عنه .

وجاء الوحى من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل الأمين فى قول الله تعالى[1] :

﴿ اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾
(صدق الله العظيم)

---

(١) سورة الأحزاب (الآيات ١٠ ـ ١١)

جاء القران الكريم فى هذه الآيات المحكمات ليصور الحالة النفسية التى كان عليها أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام من المهاجرين والانصار تصويرا رائعا ودقيقا .. المدينة يحيط بها جيش كبير لا يمثل قريش وحدها بل جمع كل الفئات الحاقدة على دين الله المتربصة برسوله الكريم التى رأت أن لا مناص من القضاء على الاسلام كى تستريح نفوسها وتطمئن قلوبها تحقيقا لغاياتها وتأمينا لمصالحها .. أربعة وعشرون ألف مقاتل يطوقون المدينة ليبطشوا بها وبمن فيها من المسلمين لتثأر قريش وحلفاؤها ، والنبى عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام الد ره صابرون ثابتون أمام جيش الحقد والضلال لأنهم أصحاب رسالة ومؤسسى حضارة ورواد قيم وجند الله ... وقفوا بصمود يدافعون عن عقيدتهم برؤية واضحة وأهداف مؤكدة وعزيمة قوية لا يهمهم تكالب الجهل والفساد ولا تآلف الكفر والالحاد ... فاستحقوا نصر الله وأقاموا الحضارة .

ما أروعه موقف وما أعظمه مشهد والرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بمشورة سلمان الفارسى رضى الله عنه .. ويحفر الخندق رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. وتعترض طريقهم فى الحفر صخرة عاتية لم يقوَ الصحابة على كسرها أو ازالتها فأتى سلمان النبى صلى الله عليه وسلم يستشيره فى أمر الصخرة ويقترح ان يغيروا مجرى الحفر تفاديا لتلك الصخرة ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ معوله ويتجه بهم الى الصخرة المستعصية وبدأ يضربها وهتف المسلمون مع رسول الله وهو يكبر مع اول ضربة له على الصخرة فينطلق منها وهج عال مضىء من اثر الضربة كأنها مصباح فى جوف بيت مظلم والرسول ﷺ يكبر :

« الله أكبر ... أُعطيت مفاتيح فارس ولقد أضاء لى منها قصور الحيرة

ومدائن كسرى وأن أمتى ظاهرة عليها » .

ويهوى الرسول القائد ﷺ بضربته الثانية على الصخرة العاتية المستعصية مكبرا والصحابة من حوله فينبثق الوهج ويرتفع الضوء فيكبر الرسول ﷺ :

« الله أكبر .. أعطيت مفاتيح الروم ولقد أضاءت لى منها قصورها الحمراء وأن أمتى ظاهرة عليها » .

هكذا يكون ثبات الايمان أمام العقبات وهكذا يكون صمود الحق أمام المعوقات وهكذا يكون بناء الحضارات .

وكانت البشرى .. بشرى رسول الله ﷺ لصحابته بأنهم سيرثون حضارة العالم من حولهم .. حضارة الفرس وحضارة الروم .. لقد كان هذا الاحتمال بعيدا بعيدا عن أفئدة كثيرين منهم حتى أن بعضهم ليستغرب من البشرى ويندهش لها بينما هم يجدون أنفسهم لا يستطيع أحدهم أن يقضى حاجته مخافة العدو الذى أحاط بالمدينة من كل جانب . ويتنزل الوحى على الرسول القائد ﷺ (١) :

﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

(صدق الله العظيم)

وتمضى الأيام بسلمان الفارسى رضى الله عنه مجاهدا فى سبيل الله .. وامتدت

---

١ ـ سورة الأحزاب (الآيات ٢٢ ـ ٢٣)

الحياة به حتى رأى البشرى حقيقة يعيشها وواقعا يحياه فشاهد مدائن كسرى وقصور الحيرة والحمراء تخضع لدين الله وينتشر النور ليغمرها وتولد حضارة القيم .

لقد كان ذلك الصحابى الجليل من أوائل من مثل احتكاك العرب بحضارة الفرس فى عهد الاسلام فكان نموذجا واعيا ورمزا رائعا .. هجر حضارته الباسقة واعتنق الحضارة القيمة .. هجر حضارة الفرس بزخرفها واعتنق حضارة الإسلام بقيمها فكان شاهد ميلاد لها .. عاش حياته ملتزما بعهد رسول الله ﷺ له ... دخل عليه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وهو على فراش الموت فبكى فسأله سعد : ماذا يبكيك يا أبا عبد الله ؟ فيجيب :

﴿ والله لا أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد الينا عهدا فقال ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وها أنذا حولى هذه الأوساد ﴾ .

يعنى أشياء كثيرة من وسائل العيش تحيط بفراشه فنظر سعد حوله فلم يجد الا جفنة ومطهرة ، جفنة يأكل سلمان فيها ومطهرة يشرب منها ويتوضأ ومع هذا يحسب نفسه مترفا ويتعجب سعد ويقول له : أعهد الينا بعهد نأخذه عنك يا أبا عبد الله .. فقال : (يا سعد أذكر الله عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت) .

سئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن سلمان الفارسى رضى الله عنه بعد وفاته فقال :

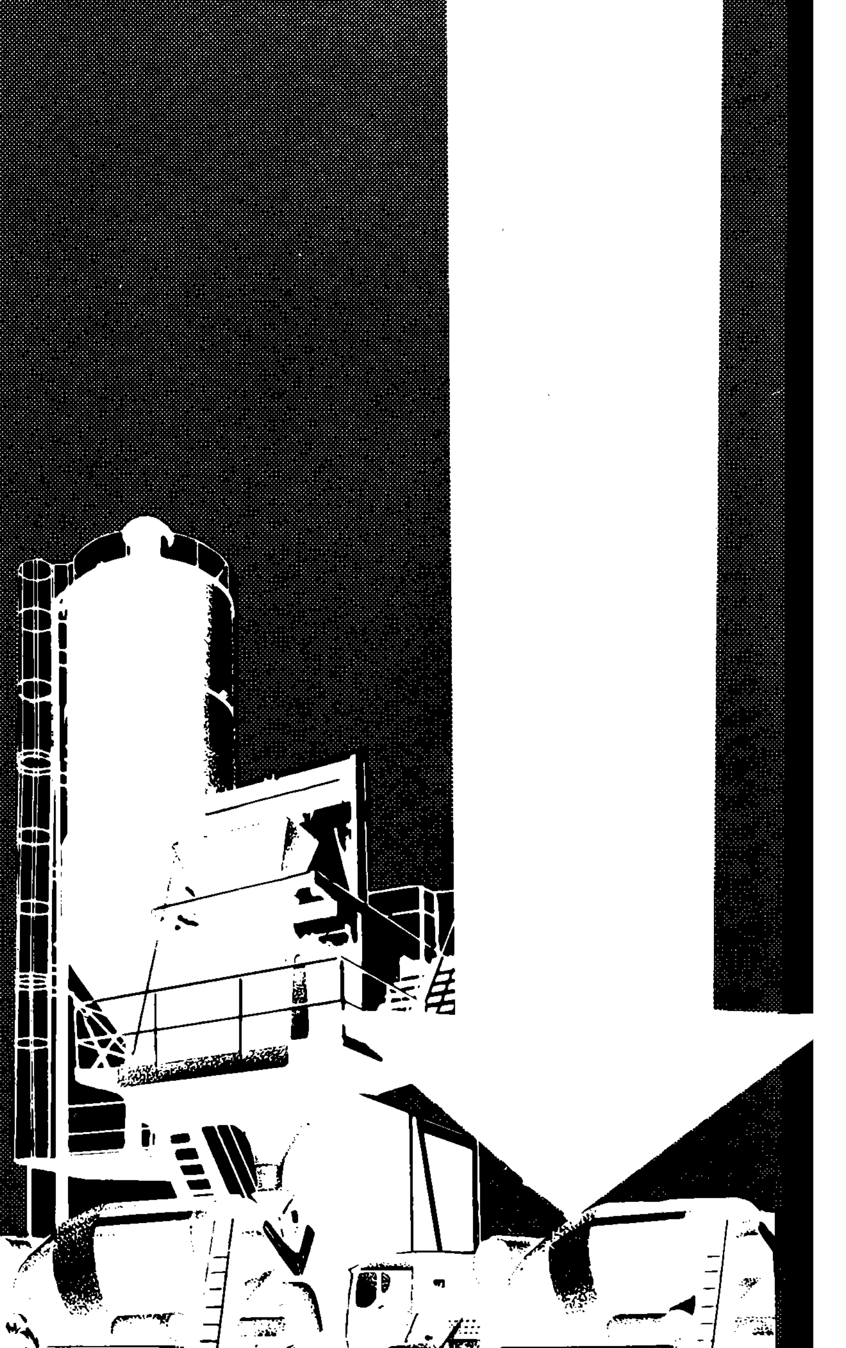
(ذاك امرؤ منا والينا أهل البيت .. من لك بمثل لقمان الحكيم ؟ .. علم

العلم الأول والعلم الآخر وقرأ الكتاب الأول وقرأ الكتاب الآخر .. بحرا لا ينزف) .

ذاك هو سلمان الفارسى الذى ارتوى من معين الإيمان الصافى .. وشرب من حوض العقيدة النقية .. وتخرج فى مدرسة النبوة فكان القدوة ايمانا والمثل صفاء رضى الله عنه وأرضاه .

ما اجدرنا أن نتمعن فى قصة حياته لنتدبر أمر غدنا من واقع حاضر ونكون بحق امتدادا طبيعيا له بالعقيدة والقيم والصدق واليقين .





مَواقفُ وَمشاهِدُ حَضارّية مِن بَدر ..

تعيش امتنا تحديات عظيمة وتمر فى حاضر أيامها بتحولات كبيرة يقف البعض منا أمامها حائرا لا يدرى ما يفعل وينظر اليها وجلا لا يعرف ما يصنع .. وبين الحيرة والوجل يتطلع الفرد منا الى قيم العقيدة ومبادىء الاسلام ومواقف السلف الصالح يلجأ اليها ليستزيد بها ثباتا ومقدرة وهو يشاهد عالمه المعاصر يمارس حياة زاخرة بالمتناقضات مليئة بالصراعات غنية بالمشكلات .

ولا بد للمؤمن أن يواجه التحديات ويتفاعل مع التحولات التى يعيشها مجتمعه وهو مليىء بزخم الايمان وأصالة العقيدة وعمق التقوى والبر .. يرتوى من حوض الإيمان وينهل من معين العقيدة . ويفكر ويتبصر ويتأمل حتى يستعيد قوته ويجدد نشاطه ويرتفع بمعنويته فيقبل على هذه الدنيا بما فيها من مشكلات وصراعات وتحديات وهو أكثر مضاء وقوة .

واذا كان تاريخ الأمة الاسلامية مليىء بصفحات ناصعة فان بدر من انصعها .. بدر المعركة وبدر الرجال .. بدر الإيمان واليقين .. بدر التضحية والفداء ... بدر الإيثار والشهامة .. بدر الموقف والمثل .. لقد كانت بدر بحق وستظل معينا لا ينضب للقيم والمبادىء نرتوى منه وظلا دائما للحق والرشاد نتظلل به ..

ونقلب صفحات السيرة لنستعرض تلك الملحمة التاريخية المليئة بالمواقف العظيمة بالقدرات العميقة فى المعانى .. تلك هى ملحمة بدر .. فيها دروس وعبر وعظات ... وفيها مواقف ومشاهد من حضارة القيم ... لقد كانت تلك الملحمة العظيمة نقطة تحول فى تاريخ الدعوة عندما اراد الله لهذا الدين أن ينتصر وشاءت ارادته سبحانه وتعالى ان يعم النور وينزوى الظلام وتنتشر الرسالة فكانت بدر بداية طريق النور .. بداية انتشار الرسالة ... بداية التاريخ المضىء لهذه الأمة .

كان النبى ﷺ قائدا عظيما يوحى اليه من السماء وكان متبتلا الى ربه راجيا اياه النصر المبين فكان دعاؤه ﷺ أثناء المعركة مناشدا ربه :

« اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد »

ويشاهد الموقف الصديق أبو بكر رضى الله عنه الذى كان يقف بجانبه داخل العريش على أرض المعركة فيخفف عنه ويقول له :

« يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك » .

ويخفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم ينتبه ويزف البشرى الى ابى بكر يقول له :

« أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ... هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثنايا النقع » .

وكانت البشرى وكان النصر . لقد كان الرسول ﷺ رابط الجأش قوى العزيمة يحرض اصحابه على القتال ويعدهم بالنصر الذى وعده الله به فيقول :

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .

وتنساب كلماته ﷺ الى القلوب فتوقظها والى النفوس فتحييها والى العزائم فتقويها فيرمى احدهم تمرات كان يأكلهن ويقول :

« بخ بخ ... أفما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء » .

ويقذف بالتمرات من يده ويستل سيفه ويذهب للقتال مشحونا بالإيمان موعودا بالنصر ويقاتل ببسالة ويضحى بشجاعة ويستشهد ..

ان عمق الايمان وصدق اليقين حددا الطريق وأضاءا معالمه ووضحا أبعاده فأما النصر أو الشهادة ... فقاتل المسلمون مع رسول الله ﷺ غير آبهين بالدنيا وما فيها ولا مبالين بالحياة وزخرفها .. وكانوا مفعمين بالإيمان عميقين بالتقوى .

جاءت قريش بعددها وعتادها .. جاءت بكل الحقد وكل الكراهية جاءت بخيلائها وفخرها تتحدى الدعوة وتكذب الرسول جاءت وقد جمعت للمعركة كل أشراف مكة وأنسابها جاءت لتحارب الرسول وتدحض الدعوة وتئد الرسالة والرسول ﷺ يدعو ربه فيقول :

« اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ..

اللهم فنصرك الذى وعدتنى .. اللهم أحنهم الغداة » .

ويستجيب الله لدعائه وينزل ملائكته أولى بأس شديد ليقاتلوا مع المسلمين وينتصر الاسلام وتنهزم قريش ويفرح المؤمنون بنصر الله وما النصر الا من عند الله .

(وشاهت الوجوه) يقولها رسول الله ﷺ وهو يرمى بحفنة من الحصباء فى وجه قريش قبل المعركة وينزل الوحى من عند الله على قلب رسوله الكريم ليثبت الأقدام ويطمئن الأفئدة (١) :

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ﴾ .

(صدق الله العظيم)

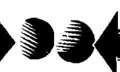
وانتصر الاسلام وانتشر النور وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وعادت قريش تجر اذيال الخيبة والهزيمة وقتل من قتل من صناديدها وسادات بيوتها وفجع كل بيت فى قريش .

ما اجدرنا أن نعيش ذكرى بدر دوما لنستعرض ملامحها ونتعرف على بعض المواقف فيها . نتعرف على الفداء والإيثار فى أسمى معانيه ونتعرف على التضحية والبطولة فى أعظم مشاهدها ونتعرف على القيادة فى أشرف مواقفها تعلم الدنيا كيف ومتى يكون النصر وتخط أنصع السطور لحضارة القيم والمبادىء .

تعالوا بنا نشاهد تلك المواقف المضيئة لبناة الحضارة لنرى أول ما نرى

---

(١) سورة الأنفال (الآية ١٧)



الرسول القائد العظيم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم وهو يعطى لجند الله درسا فى الايثار فيرفض الا أن يمشى على رجليه ويترك دابته لرفيقيه عندما انتقل بالجيش من المدينة الى بدر . يأبى ﷺ الا أن يأخذ نصيبه كصاحبيه فيترك لهما أن يتناوبا ركوب الدابة عندما يحين دورهما . دعونا نتمعن فى هذا الموقف فماذا نقول ؟ .. لا شيء أقل من تقدير واعتزاز لموقف القائد العظيم من جنده الميامين بالقدوة والمثل .

وتتتابع المشاهد وتتضح المواقف لنرى كيف يجعل رسول الله ﷺ الأمر شورى بين صحابته فيختار للجيش موقعا لم يرق للحباب بن المنذر فيتقدم بأدب الجندى من قائده ليسأل :

« يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة » .

فيجيبه الرسول العظيم القائد باستبشار وحبور :

« بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .

فيقول الحباب :

« يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القليب ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون » .

يقول ذلك الحباب والرسول يسمع ويعجب ويوافق ويؤيد فيقول :

« لقد اشرت بالرأى » .

ويأمر جنده بتنفيذ المشورة :

ذلك موقف فيه تواضع القيادة وعظمة القائد ... فيه عمق الإيمان وجلال الرسالة انه تشريع لهذه الأمة ليكون أمرها شورى بينها تأخذ بالحق وتتبعه وتطيعه . أو لم تكن الشورى ركنا من أركان الحضارة الإسلامية إزدهرت به يوم استندت عليه وخبت يوم وقف التعامل معه ؟ ! !

تعالوا بنا الى موقف آخر عندما أراد رسول الله ﷺ أن يستوثق من أمر الأنصار الذين بايعوه بالعقبة فقالوا له :

« إنا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا » .

ذاك كان موقف الأنصار عندما بايعوه وعندما حل وقت المعركة أراد أن يستوثق فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فتحدث أبو بكر رضى الله عنه مؤيدا وتكلم عمر رضى الله عنه مدعما وقام المقداد بن عمر ليقول :

« يا رسول الله إمض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ذاك » .

ويفرح الرسول لذلك ويسر ولكنه ﷺ استهدف الأنصار بقولته ليتأكد من رغبتهم فى القتال معه نصرا له على عدو قادم الى خارج حدود المدينة لملاقاته وما كان ذلك ضمن بيعة العقبة .

فقال له سعد بن معاذ رضى الله عنه وكان سيد الأوس وكبيرهم :

« والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » .

فيجيب النبى الكريم أجل .. فيقول سعد :

« فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فأمض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله » .

وكان ذلك موقف لرجل عبر به عن التزام أمة لنصرة عقيدة آمنت بها ورسول صدقته . لقد تربت هذه الفئة على دروس حرسالة وفى سياج الإيمان وتخرجت فى مدرسة النبوة .. فصدقت فى وعدها ووفت بالتزامها ... انه الإيمان واحد لا يتجزأ والعقيدة ثابتة لا تتغير والجهاد مستمر لا ينقطع .

لقد سر رسول الله ﷺ لما سمع من صحابته وجنده واطمئن واستوثق كان ما كان .

وتنساب المواقف وتتجدد المشاهد .. نستعرضها اليوم ونحن نسترجع تاريخ تلك الموقعة الملحمة لنأخذ منها العبر ونستشف العظات .

نجد رسول الله ﷺ يتفقد جيشه ويسوى صفوفه وينظم جنده وكأن بأحدهم قد برز عن الصف فيأتى الرسول ﷺ ليسوى الصف فيأخذ رمحه ويضرب بها على بطن الخارج عن الصف ويقول له :

« استوِ يا سواد » .

فيقول سواد : يا رسول الله اوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل ..

القصاص يا رسول الله . فيكشف الرسول العظيم ﷺ عن بطنه ويقول لسواد : استقد ، فيعتنقه وقبل بطنه فيعجب رسول الله من ذلك ويسأله :

« ما حملك على هذا يا سواد » .

فيجيب الصحابى الجليل : حضر ما ترى يا رسول الله فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ..

ذاك موقف يدل على شدة محبتهم لرسول الله وتقديرهم له انه حب الإيمان انه الحب الذى علمهم اياه الإسلام ، أليس هو الرسول الحبيب الذى قال :

« فو الذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده » .

هكذا كانت محبة الرسول وهكذا ستظل لتكون الطاعة ويكون الإنضباط فيكون النصر .

يا لتلك المواقف التى وقفها الجنود بين يدى قائدهم العظيم ﷺ وهو يجدد اللقاء ويدعو بالنصر ويقوى العزائم ويثابر على الصمود وهم من فرط حبهم جند الله يقذفون بأنفسهم فى حمى المعارك ويقاتلون حتى الشهادة أو النصر فكان النصر لهم . انظروا الى أحدهم وهو يقاتل بعزم واصرار فتقطع يده وتظل معلقة بجلده والدم ينزف .. ولا يشعر لأن حرارة الإيمان أقوى والإصرار على النصر أعظم والشهادة هى المطلب .. وتعوق المقاتل البطل يده المعلقة فيضعها تحت قدمه ويشدها عن جسمه فيقطعها منه ويقذف بها بعيدا حتى لا تعيقه عن القتال فى سبيل الله . يا لعظمة الاسلام ويا لعمق الإيمان بالتضحية ويا للفداء إنه النصر هذه علاماته وهؤلاء رجاله .

ان هذه المواقف تجعلنا نزداد يقينا وتجلنا نتعمق ايمانا بأن من اراد النصر فليعد له العدة . ان العدة هنا ايمان وشجاعة وانضباط لقيادة التوحيد الخالص .. انها أمثلة نادرة من الوفاء والتضحية والإيثار يقودها رسول الله ﷺ .

لقد كانت هذه الملحمة مليئة بالمواقف قاتل فيها الابن أباه ، وأسر فيها الأخ أخاه .. تعالوا نتعرف على موقف ابن من أبيه .

كان عتبة بن ربيعة فى جيش المشركين وكان ابنه أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله يقاتل فلما قتل الأب نظر رسول الله ﷺ فى وجه أبى حذيفة فاذا هو كئيب قد تغير لونه فقال له :

« يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيئا » .

فقال : « لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الإسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت ارجو له أحزننى ذلك » .

.. انه الإيمان وصلابة الحق لا تعرف للأبوة عاطفة ولا للقربى معنى فقد افترقا يوم أصر الأب على غيه ومات مشركا . انظروا اسمعوا قوله : « ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه » .

هكذا قالها الابن لكنه أسف .. تحسر .. حزن .. تألم .. لأن اباه مات على الكفر وهو من هو رأيا وحلما وفضلا ولكنها ارادة الله القائل (١) :

﴿ انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ﴾ .

(صدق الله العظيم)

---

(١) سورة القصص (الآية ٥٦)

تعالوا نتعرف على موقف أخ من أخيه .. كان أبو عزيز أخا لمصعب بن عمير وكان الأول مشركا والثانى مسلما وأصبح أبو عزيز بن عمير ضمن الأسرى يوم بدر ويراه مصعب وأحد الأنصار يشد وثاقه فيصرخ فيه مصعب محرضا (شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك (ويسمع الأخ قول أخيه للانصارى فيستعطفه قائلا : (يا أخى أهذه وصايتك بى !) فيجيب مصعب دون تردد وبجزم (انه أخى دونك) .. انظروا كيف تعززت الأخوة فى الله وسقطت أخوة القربى بين الأخ وأخيه بفعل الشرك .. ما أحلى الايمان وما أعظم الإسلام .

دعونا ننظر الى مشهد آخر فيه عاطفة الأبوة .. كان ضمن الأسرى أبو العاص ابن ربيع زوج زينب ابنة رسول الله ﷺ فلما علمت زينب رضى الله عنها بأسر زوجها بعثت بفدية لفك أسره وكان فى الفدية قلادة لها كانت خديجة أمها أم المؤمنين رضى الله عنها قد أدخلتها بها على ابى العاص حين تزوجها فلما رأى ﷺ القلادة رق لها رقة شديدة وقال لآسرى ابى العاص (ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا) فقالوا نعم يا رسول الله وأطلقوه وردوا عليها الذى لها .. ذاك موقف فيه عاطفة الأبوة الجياشة . تذكر رسول الله ﷺ ابنته عندما رأى القلادة وحن قلبه لها وكانت مسلمة وزوجها مشرك ثم أسلم فيما بعد .

ولا تنتهى المواقف من بدر ولا تقف العبر والعظات عند حد فكتب السيرة مليئة بها وبقصصها وبعبرها وبعظاتها .. ألم نقل أنها ملحمة تاريخية عظيمة فرق الله فيها بين الشرك والإسلام نصر الله فيها نبيه وصدقه وعده وكان الاسلام وانتشر النور وانزوى الظلام . اننا نسترجع هذه المواقف لنتعلم كيف تكون القيم والمبادىء ونحن نواجه تحديات الحضارة .. نستشف هذه العبر

ونأخذ هذه العظات لتكون لنا زادا نتزود به ونورا نهتدى به وأمثلة نقتدى بأثرها فى نضالنا ضد التخلف وفى جهادنا من اجل التقدم والتطور حتى يكون بناء حضارة القيم راسخا مكينا ولنتذكر دائما أن النصر فى بدر لم يكن كسبا عسكريا للمعركة فحسب ولكنه كان نصرا حضاريا على الغرائز والشهوات والتزام مطلق بالعقيدة وثبات راسخ للمبادىء والقيم ... بها آمن هؤلاء الرجال ومن اجلها ضحوا فدانت لهم الدنيا فأقاموا الحضارة .

لنتذكر دائما أن التحدى الحضارى الذى نواجهه ليس ماديا أو عسكريا فحسب .. بل هو أخلاقى بالدرجة الأولى وصدق الحق تبارك وتعالى [١] :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ .

(صدق الله العظيم)

---

(١) سورة الأنفال (الآية ٤٥ ـ ٤٦)

بايجاز

. . . وبعد فهذه قصة التحدى الحضارى الذى يواجه أمتنا . . ذاك جوهره ومنطلقه وتلك هى عناصره وقيوده . سردتها كما عنت لى وفصلت منها ما اعتقدت أنه يحتاج إلى تفصيل واوجزت مالايحتاج ، فإن أصبت فذاك من توفيق الله فله الحمد والمنّه وان أخطأت فوجه الله قصدت ويكفينى أننى حاولت أن أضع أمام المثقفين من أبناء أمتى أبعاد هذا التحدى لينال ماهو جدير به من اهتمام وعناية حتى تتضافر جهودهم ويتعاونوا على اثارة نوازع الخير فى أمتهم فيتجدد نشاط أبنائها وتقوى عزيمتهم ويوقظ الوعى بينهم ليسير ركب الحضارة فى وطنى الى غاياته بثبات وبصيرة وتنطلق مسيرة التنمية الى أهدافها بحكمة ويقظة تحفها السواعد الفتية بعطاء فياض وتضحية صادقة وابداع خلاّق .

. . . ولم يبق مانقوله سوى التأكيد على أن المشوار الحضارى للأمة طويل وصعب وتعترضه عقبات ومحاذير وتحيط به متاهات ومشكلات وتصحبه تحولات فى السلوك والأخلاق وتغيرات فى العادات وأساليب الحياة ولابد للأمة أن تستعد لكل هذا إذ لامناص منه فالجديد قادم والزمن يفرض نفسه بمحدثاته رضينا أم أبينا ـ وعلى الأمة بمختلف طبقاتها الاجتماعية ومستوياتها الفكرية أن تتحمل مسئوليات بناء الحضارة وتبعاتها بكل الجهد والمعاناة والعمل الجاد ، وبعد البصيرة والحكمة حتى نقلل للحد الأدنى السلبيات والمساوىء . . ولأن القضية خطيرة والأمر جد فان على مثقفى المجتمع ومفكريه أن يمارسوا دورهم ويقوموا بما هو منتظر منهم من توعية وتبصير للمجتمع لتكوين المناخ اللازم للامكان الحضارى .

ان عملية توعية المجتمع بما تتضمنه من ممارسات وتبعات تستدعى تضافر كل الجهود فى المنزل والمدرسة والجامعة والمسجد . . انها عملية متصلة الحلقات يشارك فيها حملة القلم ووسائل الأعلام والمعلم وامام المسجد والواعظ حتى يتعمق الحث الحضارى فى المجتمع ليتولد عنه الحس والشعور بالعبء لدى المواطن وعندها تبدأ الدورة الحضارية مسارها .

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد بضرورة انطلاق برامج التوعية والتبصير هذه من طبيعة مجتمعنا المسلم بما له من خصائص وما يتمتع به الفرد فيه من دوافع وحوافز للعمل المثمر والعطاء المنتج وفى العقيدة الاسلامية من القيم والمبادىء مايعزز هذه المفاهيم فالرسول ﷺ يقول :

» الدنيا مزرعة الآخرة «

ولن تجد عملا يؤديه المسلم فى دنياه الا ومرتبط بأخراه حتى العبادات لا تخل من هذا المفهوم ولعل اعجاز الآية الكريمة :

﴿ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور . . . الآية ﴾ صدق الله العظيم

يحدد بعدا للعمل أجده جديدا فى معناه لأن الآية الكريمة ربطت شكر المولى جلت قدرته بالعمل ، والمسلم دائم الشكر لله ولذا فهو دائب العمل وبقى أن نثير فيه الرغبة فى العطاء بأسلوب متقن وطريقة مثمرة حتى يكون التلاحم وتنشأ الحضارة . ورحم الله مالك بن نبى إذ يقول :

[ان مشكلة كل شعب هى فى جوهرها مشكلة حضارته ، ولايمكن لشعب أن

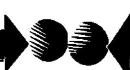
يفهم أويحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته الى الأحداث الانسانية ، وما لم يتعمق فى فهم العوامل التى تبنى الحضارات أوتهدمها . . وماالحضارات المعـاصرة ، والحضـارات الضاربـة فى ظلام الماضى ، والحضـارات المستقبلـة الا عنـاصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون الى نهاية الزمن ، فهى حلقات لسلسلة واحدة تؤلف الملحمة البشرية منذ أن هبط آدم على الأرض الى آخر وريث له فيها ، وياها سلسلـة من نور !... تتمثـل فيهـا جهـود الأجيال المتعاقبـة فى خطواتها ، المتصلة فى سبيل الرقى والتقدم .

هكذا تلعب الشعوب دورها ، وكل واحد منها يبعث ليكوّن حلقته فى سلسلة الحضارات ، حينما تدق ساعة البعث معلنة قيام حضارة جديدة ، ومؤذنة بزوال أخرى .

. وما أجلّ هذه الساعة ! . حينما تؤذن بفجر جديد من المدنية ، وما أهولها من ساعة حينما تعلن غروب أخرى ! .]

فلنعلن للدنيا بدء فجر جديد لحضارة القيم . . ولتسمع الدنيا هدير مصانعنا ولتبصر اشراقة فكرنا ولتشاهد أصالة فننا فى نغم متجانس وابداع متقن لننفك من التيه المقفر الذى يعيش العالم المعاصر أسيرا له . . تظللنا العقيدة الموحية ويغمرنا الإيمان الصادق تحقيقا لقوله تعالى(٢) :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولـه والمؤمنـون . . . . الآية ﴾
صدق الله العظيم



المراجع

باركولد ، ف

تاريخ الحضارة الاسلامية ، تأليف ف . باركولد ترجمة حمزة طاهر ط٤ القاهرة دار المعارف ١٩٦٦م . ١٦٠ص .

بيرك ، جاك

العرب تاريخ ومستقبل / تأليف جاك بيرك ، تقديم هاملتون جيب ، ترجمة خيرى حماد ـ القاهرة : الهيئة العربية ١٩٧١م . ٣٧٤هـ .

بيك ، هارولد

الأزمنة والأمكنة ، دهاليز الزمن ، تأليف هارولد بيك ، هربرت جون فلير ترجمة محمد السيد غلاب ، مراجعة ابراهيم احمد رزقانه . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢م ، ٤٥١ص ، مص (الألف كتاب / ٤٣٩)

توينبى ، آرنولد

الاسلام . . والغرب . . . والمستقبل / آرنولد توينبى ، ترجمة نبيل صبحى . ـ ط ١ . ـ بيروت دار العروبة ١٩٦٩م . ٥٧٥ ص .

جب ، هاملتون

دراسات فى حضارة الاسلام ، تأليف هاملتون جب ـ تحرير ستانفورد شو ، وليم لبولك ، ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد ـ بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٤ م ح ، ٤٥٩ص

جحا ، فريد

كتب أنصفت حضارتنا / فريد جحا . ـ دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٧٧م ـ ٢٥١ص .

الجراري ، عبدالله بن العباس

تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا / تأليف عبدالله بن العباسي الجراري ـ ط ١ ـ القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م . ٢٧١ .

الحجي ، عبد الرحمن علي

جوانب من الحضارة الاسلامية / عبد الرحمن علي الحجي ط١ بيروت دار القلم ١٩٧٩م ـ ٧٢ ص

حسنين ، حسن حنفي

قضايا معاصرة : (٢) في الفكر الغربي المعاصر / حسن حنفي سنين . ـ القاهرة : دار الفكر العربي ، (د . ت) ٥٢٥ ص .

حسين ، محمد محمد

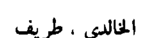
الاسلام والحضارة الغربية / محمد محمد حسين . ـ ط ١ . ـ بيروت دار الارشاد ، ١٩٦٩م . ١٢٨ ص .

حسين ، احمد

تاريخ الإنسانية / احمد حسين . القاهرة . دار القلم ١٩٦٥م . ٢٨٦ص .

الحوراني ، يوسف

الانسان والحضارة : مدخل دراسة / يوسف الحوراني . ـ ط٢ ـ بيروت المكتبة العصرية ، ١٩٧٣م . ٢٢٧ص .



الخالدى ، طريف

دراسات فى تاريخ الفكر العربى الاسلامى / طريف الخالدى ـ بيروت دار الطليعة ، ١٩٧٧م . ١١٢ص .

الخربوطلى ، على حسن

الحضارة العربية الاسلامية / تأليف على حسن الخربوطلى . ـ القاهرة ـ مكتبة الخانجى ، ١٩٧٥م . ٣٠٣ص .

الخشاب ، يحيى

التقاء الحضارتين العربية والفارسية . القاهرة ، جامعة الدول العربية ـ معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩م . ١٥٨ص .

خودا بخش ، صلاح الدين

حضارة الاسلام / تأليف صلاح الدين خودا بخش ، ترجمة وتعليق على حسن الخربوطلى . ـ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧١م ١٩٥ص .

الدواليبى ، محمد معروف

دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضارتهم الإنسانية / محمد معروف الدواليبى : بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١م ١٢٠ص .

ديورانت ، ول

قصة الحضارة ، ول ديورانت ـ ترجمة زكى نجيب محمود ، محمد بدران ، عبدالحميد يونس . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ٦١ ـ ١٩٧٢م ـ ٢٧ج فى١٤مج .

رضا ، محمد جواد

العرب والتربية والحضارة : دراسة فى الفكر التربوى المقارن / تأليف محمد جواد رضا . ـ ط ١ . ـ الكويت : مكتبة المنهل ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م . ٣٨٢ص .

زريق ، قسطنطين

فى معركة الحضارة ، دراسة فى ماهية الحضارة وأحوالها وفى الواقع الحضارى ـ بيروت دار العلم للملايين ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ٤٢٣ص .

زيدان ، جرجى

تاريخ التمدن الاسلامى / تأليف جرجى زيدان . ـ ط٢ . ـ بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٧م ٥ ج فى ٢ مج

شاخت ، جوزيف

تراث الاسلام ، (اشراف) جوزيف شاخت ، س . أ . بوزورث ، ترجمة زهير السمهورى ، حسين مؤنس ، احسان صدقى العمد ، تعليق شاكر مصطفى ، مراجعة فؤاد زكريا ، الكويت . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨م ٢ ق فى ٢ مج (عالم المعرفة / ٨ ، ١١)

شريف ، م . م

الفكر الاسلامى ، منابعه وآثاره ، تأليف م . م شريف ، ترجمة وتعليق أحمد شلبى ، ط ٥ معدله القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥م ١٨٤ص (موسوعة النظم والحضارة الاسلامية/١)

شلبى ، احمد

موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية / تأليف أحمد شلبى . ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م ٧ج .

شيدر ، هانز هيترسن

روح الحضارة العربية ، تأليف هانز هيترسن شيدر ، ترجمة عبدالرحمن بدوى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ١٥١ص .

صروف ، فؤاد

الفكر العربى فى مائة سنة ، تحرير فؤاد صروف ، نبيه أمين فارس ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ١٩٦٧م . ٦٧٨ص .

طعيمه ، صابر

تحديات أمام العروبة والاسلام / صابر طعيمه . ـ بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٦م ـ ٢٩١ص .

طوقان ، قدرى حافظ وآخرين

الاسلام والتحدى الحضارى / بأقلام عشرة من علماء المسلمين أولهم قدرى حافظ طوقان ـ بيروت : دار الكاتب العربى (د . ت) ١٤٤ ص .

عبدالجبار ، عبدالله

الغزو الفكرى فى العالم العربى / عبدالله عبدالجبار ط ١ (الرياض . مكتبة الرياض الحديثة) ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م ٩٥ ص (المكتبة الصغيرة ١٢)

عبدالرحمن ، عائشة (بنت الشاطىء)

تراثنا بين ماض وحاضر . القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٠ م ٢٠٨ ص ، ٢٤سم (مكتبة الدراسات الأدبية / ٥٣)

عبدالرؤوف ، عصام الدين

الحواضر الاسلامية الكبرى ، دراسة تشمل معالم الحضارة فى أمهات المدن الاسلامية فى عصور ازدهارها / عصام الدين عبدالرؤوف ، القاهرة ، دار الفكر العربى .

عبدالعزيز ، محمد الحسينى

الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية / تأليف محمد الحسينى عبدالعزيز . ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٣م . ٢١٦ص .

عبدالهادى ، جمال

أوربا منذ أقدم العصور (دولة الروم) / تأليف جمال عبدالهادى ، وفاء محمد رفعت ـ جدة دار الشروق ، د . ت . ٢٩٢ ص .

العسلى ، بسام

الحرب والحضارة / بسام العسلى . ـ ط ١ . ـ بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٩م . ٢٥٦ص .

عصفور ، محمد أبوالمحاسن

معالم حضارات الشرق الأدنى القديم / محمد أبوالمحاسن عصفور ـ بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م . ٣١٤ص .

عفيفى ، محمد الصادق

تطور الفكر العلمى عند المسلمين / محمد الصادق عفيفى . ـ القاهـرة . مكتبـة الخانجى ، ١٩٧٧م ٣١٨ ص

العقاد ، عباس محمود

أثر العرب فى الحضارة الأوربية / عباس محمود العقاد . القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٦م ١٧٥ص .

العقل ، ناصر بن عبدالكريم

التقليد والتبعية وأثرها فى كيان الأمة الاسلامية / ناصر بن عبدالكريم العقل . ـ الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ كلية الشريعة ، ١٣٩٤ هـ . ٢٣٩ ص



اطروحه ، الرياض ، ١٣٩٤ هـ .

غروسه ، رينه
رصيد التاريخ / تأليف رينه غروسه ، ترجمة محمد خليل الباشا ـ بيروت : المنشورات العربية ، (د . ت) ٢ ج .

غلاب ، عبدالكريم
الثقافة . . والفكر فى مواجهة التحدى / عبدالكريم غلاب ـ الدار البيضاء : دار الثقافة ، ١٩٧٦م . ٢١٣ص .

غلاب ، عبدالكريم
الفكر العربى بين الاستيلاب وتأكيد الذات / تأليف عبدالكريم غلاب . ـ تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧م ٢١٩ص

فرويد ، سيغموند
قلق فى الحضارة / سيغموند فرويد ، ترجمة جورج طرابيشى بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٧م ـ ١١٨ ص .

القاضى ، مختار
أثر المدينة الاسلامية فى الحضارة الغربية . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٢ م . ٢٧١ ص .

كون ، كارلتون
قصة الإنسان : منذ ظهور الانسان الأول الى الحضارة البدائية ومابعدها / تأليف كارلتون كون ، ترجمة محمد توفيق حسن ، عبدالمطلب الأمين . ـ بغداد : المكتبة الأهلية ، ١٩٦٥م . ٥٦٦ ص .

لنتون،، رالف

شجرة الحضارة ، قصة الإنسان منذ فجر ماقبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث . رالف لنتون ـ ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م ـ ١٩٦١م . ٣ج فى ٣ مج .

مظهر ، جلال

حضارة الاسلام / جلال مظهر ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ١٩٧٤م . ٥٩٢ص .

مظهر ، جلال

علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث / جلال مظهر ـ القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م ٩٥ص (المكتبة الثقافية ٢٤٧)

معروف ، ناجى

أصالة الحضارة العربية ط ٢ مزيدة ومنقحة ، بغداد ، مطبعة التضامن ، ١٩٦٩م . ٥٠١ص .

الملا ، أحمد على

أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية / أحمد على الملا . ـ (د . م) دار الفكر ، (د . ت) ٢٣٩ص .

مؤتمر الكتاب الآسيويين الدولى الرابع ـ تابيه ، الصين الوطنية من ٢٥ أبريل ـ ٢ مايو ١٩٧٦م (شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة قبل قرون طويلة) حمد الزيد . ـ الطائف : نادى الطائف الادبى ١٩٧٦م ٢٠ص .

ماجد ، عبدالمنعم

تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣م ٣٢٨ ص .

قـز ، آدم

الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، (أو) عصر النهضة فى الاسلام ، تأليف آدم قز ، ترجمة محمد عبدالهادى ابوريده . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧م . ٥٧٠ ص .

المحافظه ، على

الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤م : الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية / على المحافظة . ط٢ ـ بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨م . ٢٧٦ص .

مراد ، محمود

سياسة الفكر / محمود مراد .ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م . ١٧٤ ص .

مصباح ، أحمد مجاهد

تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى / احمد مجاهد مصباح ـ ط٢ .ـ القاهرة : (د . ن) ، ١٩٧٨ (دار الطباعة المحمدية) . ٣٠٣ ص .

نويه ، عثمان (مترجم)

تاريخ البشرية : المجلد السادس : القرن العشرون ، التطور العلمى والثقافى / اعداد اللجنة الدولية باشراف منظمة اليونسكو ، ترجمة عثمان نويه ، راشد البراوى ، محمد على أبودره .ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م ج٢ فى ٣مج .

الهاشمى ، محمد

الفكر العربى : جذوره وثماره / محمد الهاشمى ـ الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . ١٥١ ص .

هـل ، ى .

الحضارة العربية ، تأليف ى . هل ، ترجمة ابراهيم أحمد العدوى ، مراجعة حسين مؤنس ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦م ـ ١٥٧ص ، (الألف كتاب / ٨٨)

هونكه ، زيجريد

شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية فى أوربا ، تأليف زيجريد هونكه ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقى ، مراجعة وتعليق فاروق عيسى الخورى . بيروت ، المكتب التجارى ١٩٦٤م ـ ٥٦٣ ص .

هونكه ، زيجريد

شمس الله على الغرب تاليف زيجريد هونكه ، ترجمة وتحقيق فؤاد حسنين على . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤م ٤٩١ص .

المودودى ، أبوالأعلى

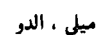
الحضارة الاسلامية . أسسها ومبادئها تأليف أبى الأعلى المودودى . ترجمة محمد عاصم الحداد ط ٢ . بيروت ـ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٠م . ٣٠٤ ص .

موسوعة العالم الاسلامى

اعداد مركز الأبحاث والدراسات الدولية فى دار الرأى العام ، اشراف على التحرير عبدالحميد حجازى . . القاهرة . دار الرأى العام ، ١٩٧٧م . جـ١ ، ٤٣٠ ص .

الميدانى ، عبدالرحمن حسن حبنكه

أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها / تأليف عبدالرحمن حسن حبنكه الميدانى ـ ط ١ . ـ بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٩٧٠م) ٤١٦ص .



ميلى ، الدو

العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى تأليف الدوميلى ترجمة عبدالحليم النجار ، محمد يوسف موسى . مراجعة حسين فوزى . القاهرة ، دار القلم ١٩٦٢م . ى ، ٦٣٨ص .

بن نبى ، مالك

شروط النهضة ، مالك بن نبى ، ترجمة عمر كامل مسكاوى ، عبدالصبور شاهين ط ٣ بيروت دار الفكر ١٩٦٩م ـ ٢٣٩ ص (مشكلات الحضارة)

يحيى ، جلال

العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية : الدول الغنية الرأسمالية الغربية والاشتراكية واليابان / جلال يحيى ـ الاسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ٥٩٧ ص .

المراجع الأجنبية

Abdul Latif, Syed
Bases of Islamic Culture by Syed Abdul Latif Delhi. Idarah-i-Adabiyat-i-Delli, 1959 viii, 234p. (IAD Reliogio-Philosophy series No. 11)

Balandier, Georges
Political Anthropology, tr. by A.M. Sheridan Smith, Middlesex, Penguin Books 1970. viii, 214p.

Barry, Gerald ed.
Communication and language; network of thought and action. Ed. by Gerald Barry and others. New York Double-day (c 1965)

Bruun, Geoffrey
Nineteenth Century European Civilization, 1815-1914. London Oxford Univ. Press, 1959 256p.

Buettner-Janusch, John
Physical Anthopology: A Perspective. New York, John Wiley, 1973. xiii, 572p.

Christopher, John B.
The Islamic Tradition. New York, Harper & Row Publishers, 1972. xxii, 185p. illus. (Major traditions of world civilizations).

Colloquim on Islamic Civilization 950-1150; published under the auspices of the near eastern history group Oxford, Edited by D.S. Richards, Oxford, cassirer, 1973 vi, 284. illus.



Daniel, Glyn
The first civilizations; the archaeology of their origins/Glyn Daniel. London: Thames and Hudson, 1968. 208p. ill.

Djuvara, Neagu M.
Civilization et lois historiques, essai d'etude comparee de civilizations. Paris,Mouton, 1975 448p.

Downs, James F.
Cultures in crisis. California, Glencoe Press 1971. xvi, 196p.

Dunlop, D. M.
Arab civilization to A.D. 1500, (by) D. M. Dunlop London, Longman, 1971. x, 368p. 23cm. (Arab background series).

Dupre, Wilhelm
Religion in primitive cultures; a study in ethnophilosophy. The Hague, Mouth, 1975. x, 366p. (Religion and reason 9).

Evans-Pritchard, E.E.
Nuer Religion. Oxford. The Clarendon Press, 1956. xii, 336p.

Firth, Raymond
Man and culture; an evaluation of the work of Bronislaw Malinowski London, Routledge and Kegan Paul, 1963. viii, 292p.

The genius of Arab civilization: source of Renaissance/ by John S. Badeau... (et. al.); John R. Hayes

editor Oxford: Phaidon, 1978. xii, 231 p. Originally published: New York: New York University Press, 1975; Oxford, Phaidon, 1976. Bibl. p. 219-221.

Gibb, Hamilton Alexander Rosskeen
Islamic society and the West: a study of the impact of Western civilization on Muslim culture in the Near East/by Hamilton A.R. Gibb and Harold Bowen - London; New York: Oxford University Press, 1950

Girard, Augustin
Cultural development: experience and policies
Paris, UNESCO, 1972. 145p.

Gottschalk, Hans L.
Die kultur des Islams, by Hans L. Gottschalk Bertold Spuer and Hans Kahlo Athenaion, Akademische Verlageges Lschaft, 1971.

Groom, Arthur John Richard ed.
Functionalism; theory and practice in international relations ed. by A.J.R. Groom and Paul Taylor. Univ. of London, Press 1975. v, 354p.

Halphen Louis
Peuple et civilization historic generàie par Louis Halphen et Philippe Sagnac, 4 me.ed. revese et augmentee. Paris, Presses Univer. De France. 1956-1961.

Hell, Joseph
The Arab civilisation tr. from the German by S. Khuda Bukhsh. Cambridge Heffer, 1926, xvii, 128p.



Hitti, Philip Khuri
Islam a way of life, Minneapolis, University of Minnesota Press, 1970. 198p.

Hocart, A.M.
Social origins, London, Watt, 1954, ix, 153p.

Hodgson, Marshall Goodwin Simms
The venture of Islam: conscience and history in a world civilization. Chicago, The University of Chicago Press, 1974. Contents: v.1. The classical age of Islam. v.2. The expansion of Islam in the Middle periods. v.3. The gunpowder empire and modern times.

Hodgson, Marshal G.S.
The expansion of Islam in the Middle periods/ Marshal G.S. Hodgson. Chicago: University of Chicago Press, 1974. vii, 609p. ill. (The Venture of Islam. v.2.)

Hogarth, Paul
Prehistory civilization before writing, by Paul Hogworth and Jean Jacques Salomon. New York, Dell. 1962. 120p.

Holy, Ladislav
Neighbours and kinsmen: a study of the Berti people of Darfur/by Ladislav Holy. London: Hurst, 1974. xii. 186p.

Ibn Khaldun, Wali El Din Abu Zeid Abd el Rahman ibn Mohammad
An Arab Philoshophy of history, selections from

the prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332-1406) tr. and arr. by Charles (Philip) Issawi, London J. Murray, 1963. 190p. (The Wisdom of East).

Ibn Khaldun, Waliuddin Abu Zaid Abdur-Rahman bin Mohd.
The Muqaddimah: an introduction to history tr. from the Arabic by Franz Rosenthal. 3d d. Princeton, N.J., Princeton Univ. Press, 1967.

Ishwaran, K., ed.
Contributions to Asian studies. Leiden, Brill, 1971.

Kroeber, A.L.
Anthropology; race, language, culture, psychology, prehistory. Rev. ed. New York, Harcourt, Bruce, 1948, xii, 856p.

Lewis, Bernard
Istanbul and the civilization of Ottoman Empire (1963). xiii, 187p. illus. 20cm.

Malinowski, Bronislaw, 1884-1942.
Freedom and civilization/by Bronislaw Malinowski. Westport, conn. Greenwood Press, 1976. c1944. xiv, 338p. 22cm. Reprint of the ed. published by Roy Publishers, New York.

Mandelbaum, Maurice H. 1908-
The anatomy of historical knowledge Maurice Mandelbaum. Baltimore: Johns Hopkins University Press, c1977. viii, 230p. 24cm.



Marek, Miroslav
Cultural policy in Czexhoslavakia. Paris, (UNESCO 1970. 77p. (Studies and Documents on Cultural Policies, 9).

Meer, Frederic Van Dar
Atlas of Western civilization English version by T.A. Birrel, 2d ed. N.Y., D. Van Nostrand, 1960. 240p.

Mercier, Paul
Histoire de l'anthropologie, Paris Presses Universitaires de France, 1966. 221p.

Moorti, Varanasi Satyanarayana
The language revolution (let my language rule)/ by Vaasamoorti. Madras M. Sechachalam, 1974. iv, 167p.

Moret, Alexandre
Histoire de L'Orient. Paris. Presses Universitaires De France, 1941. 180p.

Murdock, George Peter, 1897-
Africa: Its peoples and their culture history. New York, McGraw Hill, 1959. xiii. 456p. illus.

Nadwi, Abul Hassan Ali
Religion and civilization/ by S. Abul Hassan Ali Nadwi; tr. from Urdu by Muh iuddin Ahmad 2d ed. Lucknow; Academy of Islamic Research, 1975. 118p.

Nadwi, Abul Hassan Ali
Western civilization; Islam and muslims, by Adul Hassan Ali Nadwi, tr. from the Urdu by Mohammad

Asif Kedwal. 2d rev. 8 enl. ed. Lucknow, Academy of Islamic Research and Publications, 1974, 222p.

Nasr, Syeed Hossein
Western science and Asian cultures/ Seyyed Hossein Nasr. New Delhi: Indian Council for Cultural Relations, 1976, 54p.

Nasr, Seyyed Hossein
Islamic studies: essays on law and society, the sciences and Philosophy and sufism. Beirut. Librarie du Liban, 1967. 155p.

Nasr, Seyyed Hossein
Science and civilization in Islam. Cambridge. Mass., Harvard University Press, 1968. 384p.

Nazari, Hassan
Der Iran auf dem wege der modernisierung; 2500 jahre Persien. Erlang, Germany, Verlag fur Lehmitte der Erwachsenenbidung, 1971 165p.

Nesturkh, M.
The races of mankind. Moscow. Progress Publishers, 1963. 113p. illus.

Oakley, Kenneth P.
Man the toolmaker. 6th ed. Univ. of Chicago Press. 1972. v. 101p. illus.

Oates, David
The rise of civilization, by David Oates and Joan Oates. Oxford, Elsevier, 1976. 151p. illus. (Making of the past)

Oppenheim, Leo, 1904
Ancient Mesopotamia; portrait of a dead civiliza-tion, by A. Leo Oppenheim. Chicago, University of Chicago Press (1964) ix, 433p. illus.

Paillart, F.
Le Passe et les concepts d'histoire/by F. Paillart. Abbeville: Acheve D. Imprimer, 1948. 353p.

Petrie, William Metthew Flinders, Sir, 1853-1942.
The revolutions of civilization. New York, Haskell House, 1971. xii, 135p. illus. 22cm. Reprint of the 1911 ed.

Philips, A.D.M. ed.
Environment, man and economic change: essays pre-sented to S.H. Beaver. Edited by A.D.M. Philips and B.J. Turton. London Longman 1975.

Rashdall, Hastings
The university of Europe in the middle ages. London, Oxford Univerity Press, 1909. 3 vols.

Rokkan, Stein, ed.
Comparative research across cultures and nations. Paris, Mouton, 1968. 238p. (Publ. of the Inter-national social science council v. 8.)

Savory, R.N.
Introduction to Islamic civilization/edited by R.M. Savory. Cambridge; New York: Cambridge University Press 1976. viii, 204p. ill. 26cm.

Sourdel. Dominique
La civilization de l'Islam classique. Paris

Arthaud, 1968. 672p. (Collection les grades civilizations).

Wallbank. Thomas Walter, 1901
Civilization past and present/T. Walter Wallbank Alastair M. Taylor, Nels M. Ballkey, 7th ed. Glenview, ill. Scott. Foresman, c1976. 2v.: ill. 26cm. Sixth ed. by T.W. Wallbank and others entered under title; Civilization past & present Includes bibliographical references and index.

Williams, John Alden ed.
Themes of Islamic civilization. Berkeley University of California Press, 1971 viii. 382p.

Willis, Frank Roy
Western civilization: an urban perspective F. Roy Willis. 2d. Lexington, Mass. Heath, c1977. 2v. ill. 24cm. Includes bibliographies and indexes. Contents: v.1. From ancient times through the seventeenth century. v.2. From seventeenth century to the contemporary age.

(فهرست)